من أحوال رمضان

وليلته المباركة

العنوان: من أحوال رمضان وليلته المباركة

تأليف: الشريف الشيخ عباس السيد فاضل الحسني

الطبعة: الثالثة ـ دار الرسالة

رقم الإيداع لدى دار الكتب والوثائق(١٤٠٣) لسنة ٢٠١٨م

١٤٣٩ هـ ـ ٢٠١٨م



الطاعة

الأدب

سلسلة الحق والنور

الرسالة السابعة

من أحوال رمضان وليلته المباركة

المؤلف

الشريف الشيخ عباس السيد فاضل الحسيني

المعرفة

الدعوة

بسم الله الرحمن الرحيم



يا ايها الذين آمنوا
كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون


مخلصين له الدين

المقدمة

الحَمْدُ للهِ الحنَّان المنَّان، ربِّ الأرض والسماء، الذي أكرمنا بشهر الصِّيام، ومنَّ علينا بليلة القَدْرِ، ليلة القُرآن، وأفاض على هذه الأمة المرحومة من سَحائب الرحمة والمغفرة والإحسان، والصّلاة والسّلام على النَّبيِّ مُحَمَّدٍ؛ الحبيب الشفيع الخاتِم ـ ﷺ، أعظمِ من أُكرم بمنازل الأمن والإيمان والحبِّ والمعاينة والرضوان، وعلى آل النبيِّ الأطهار الكرام، وأصحاب رسول الله الأتقياء الأبرار، وتابعيهم بإحسان إلى يوم التناد ـ فهم السادةُ القادةُ الكرام ـ عليهم سحائب الرحمة والرضوان. آمينَ آمينَ، يا ربَّ العالمين.

أمّا بعدُ: فإن الصَّوم من أعظم أركان الدِّين، وأوثق قوانين الشَّرع المتين، به قهر النَّفس الأمَّارة

بالسوء، وهو مركَّب من أعمال القلب، ومن المنع من المآكل والمشارب والمناكح عامَّة يومه، وهو أجمل الخصال، بل هو أفضل العبادات، ومن أشق التَّكاليف على النفس، فاقتضت الحكمة الإلهية؛ أن يبدأ في التكاليف الواجبة بالأخفِّ، وهو: شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحمداً رسول الله ـ ﷺ، ثم يثني: بالصّلاة، ويثلِّث: بالزكاة، ثم يأتي بالأشقِّ وهو: الصّوم، ثم يختم بأكثرها مشقة، وهو: الحج تمريناً للمكلَّف، ثم إن تشكيل العبادات من رحمة الله تعالى على عباده؛ لإدامة الإنابة، والأنس، وعدم الملل؛ قال تعالى:﴿ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۝٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ۝٦ ﴾[1].

---

(١) سورة مُحَمَّد ـ ﷺ.

والصومُ في اللغةِ: الإمساك عن الشيء، والترك له، ومن هنا قيل: للصمت: صومٌ، لأنه إمساك عن الكلام؛ كما في قوله تعالى حكاية عن قول أم عيسى ـ عليهما السلام: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [(١)]. ويطلق أيضًا على: الاعتدال، يقال: صام النهار إذا اعتدل، وقام قائم الظهيرة.

قال امرؤ القيس:-

فدع ذا وسلِّ الهمَّ عنك بجَسرة

ذمولٍ إذا صام النهار وهَجّرا[(٢)].

---

(١) سورة مريم.

(٢) الجسرة: الناقة القوية على السير، والذمول: السريعة. وصام النهار: قامت الظهيرة، وهجَّرا: حميت الهاجرة واشتد حرّها؛ انظر: "ديوان امرؤ القيس شرح السندوبي".

وكذلك يطلق الصّوم على: ترك الأكل، قال الخليل: الصوم قيام بلا عمل، وصام الفرس صومًا أي قام على غير اعتلاف. قال النابغة:-

خيلٌ صيام وخيلٌ غير صائمة
تحت العجاج وأخرى تَعْلك اللُّجُما[1].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: (ت ١٣٩٣هـ)، (٣/٤١٠). فقوله: (خيل) الخيل الأفراس، ولا واحد لها من لفظها، وقيل: واحدها خائل، والجمع خيل؛ كما يقال: سافر وسفر. وقوله: (صيام) نعت لها، وهو جمع صائم، ومعناه: ممسكات عن الاعتلاف (وخيل غير صائمة) أي: وأفراس أخر غير ممسكات عنه بل هي معتلفة (تحت العجاج) أي: الغبار، وهو في الحرب وأفراس أخر (تعلك) أي: تلوك (اللجما) جمع لجام والألف التي في آخره زيادة إشباعاً للفتحة وتسوية للقافية، وقد علك يعلك من حد دخل أي: لاك يلوك، والعلك بالكسر ما يلاك والعلك بالفتح المصدر، وهو اللوك، "وفي الشرع": عبارة عن الإمساك عن الأكل والشرب والمباشرة مع النية في جميع النهار. ينظر: "طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية": لنجم الدين ابن حفص النسفي: (ت٥٣٧هـ)، (ص٢١).

وأما في الشَّرْع: فهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وجميع المفطرات من الفجر إلى غروب الشَّمس، مع الاقتران بالنِّيَّة - ابتغاء مرضات الله - عَزَّوَجَلَّ.

وقد سُمِّي رمضان: لأن الذنوب تُرمض فيه، أي: تُحرق؛ وورد: «إِنَّما سُمِّيَ رَمَضَانَ، لأَنَّهُ يُرْمِضُ ذُنُوبَ عِبَادِ اللَّهِ»[1]، وفي روايةٍ، قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنما سمي رمضان؛ لأن رمضان يرمض الذنوب»[2]، أي: يُحرق الذنوب.

قال عبدُ الله بن عُمرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (إنما سُمِّيَ رمضان؛ لأن الذُّنوب تُرْمَضُ فيه، فإنما سُمّيَ شوّال؛

---

(١) مفاتيح الغيب: للإمام فخر الدين مُحَمَّد بن عمر الخطيب الرازي: (ت٦٠٦هـ)، (٥/٧١).

(٢) أخرجه ابن مرويه والأصبهاني في "الترغيب" ينظر: الدر المنثور: لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي: (ت٩١١هـ)، (١/٤٤٤).

لأنه يشوّل كما تشوّل الناقة ذنبها[1] ـ ومعنى تُرمض: تُحرق، وهو بالبناء للمجهول، ومعنى يشوّل الذنوب: يرفعها، وتشوّل ذنبها ترفعه).

"واعلم يا أخي": أنَّ صَوْم رمضان فرضٌ على كلِّ مكلفٍ، أي: بالغٍ عاقلٍ مقتدر على الصوم من ذكر أو أنثى.

وهو مفروضٌ؛ بالكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمَّة؛

أما الكتابُ: فقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

(١) أخرجه علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي: (ت٥٧١هـ) في "تاريخه"، ينظر: الدر المنثور: (٤٤٤/١). قال العلامة إسماعيل حقي البروسوي: (ت ١١٣٧ هـ)، في "تفسيره" (٣٩/٥): قال في "شرح التقويم": هو من الشول وهو الخفة من الحرارة في العمل والخدمة، وإنما=

تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[1]؛ وأما السُّنَّةُ؛ فالأحاديثُ كثيرةٌ، منها؛ قوله ـ ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ عَلى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لا إلهَ إلاَّ الله وَأَنَّ مُحمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيْتِ». متفق عليه[2].ومنها: قوله ـ ﷺ: «إذا رَأَيْتُمْ الْهِلالَ فَصُومُوا، وإذا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلاثِينَ يَوْمًا». رواه مسلم

= سمى بذلك لخروج الإنسان فيه عن مخالفة النفس الأمارة، وقمع شهواتها اللذين كانا في الإنسان في رمضان بإطلاق طوع المستلذات والمشتهيات، فعند خروجه عن ذلك كان يجد خفة في نفسه ويستريح.

(١) سورة البقرة.

(٢) صحيح البخاري: لأبي عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري الجعفي: (ت٢٥٦هـ)، كتاب الإيمان . باب بني الإسلام على خمس، رقم: ٨؛ وصحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري: (ت٢٦١هـ)، كتاب الإيمان . باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم: ١١٣.

والنسائي وابن ماجه[1]، ولقوله ـ ﷺ: «إِنَّ اللهَ فَرَضَ صِيَامَ رَمَضَانَ عَلَيْكُمْ، وَسَنَنْتُ لَكُمْ قِيَامَهُ، فَمَنْ صَامَهُ وَقَامَهُ إِيمَانا وَاحْتِسابا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». رواه النسائي وابن ماجه وأحمد[2].

وأما الإجماعُ: فمعلومٌ أنه قد أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على فرضيته، ولم يخالف فيها أحد من المسلمين، وهو كما سلف من أركان الدين ـ

---

(١) صحيح مسلم:كتاب الصيام . باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، والفطر لرؤية الهلال، رقم: ٢٥١٠؛ وسنن النسائي الكبرى: لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي: (ت٣٠٣هـ)، كتاب الصيام . ذكر الاختلاف على الزهري في هذا الحديث، رقم: ٢٤٢٩؛ وسنن ابن ماجه: لأبي عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني: (ت٢٧٥هـ)، كتاب الصيام . باب ما جاء في صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته، رقم: ١٦٥٥.

(٢) سنن النسائي: كتاب الصيام . باب ذكر اختلاف يحيى بن أبي كثير والنضر بن شيبان فيه، رقم: ٢٢١٠؛ وسنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها . باب ما جاء في قيام شهر رمضان، رقم:١٣٢٨=

فمن جَحَدَ فَرضيتَهُ فقد كفر؛ ما لم يكنْ قريبَ عهدٍ بالإسلام، أو نشأ بعيداً عن العلماء.

أما قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ فمن معانيها الشريفة: هذا أمر الرَّبِّ ـ جلَّ وعلا، لأَحبابه؛ لأن الجملة متضمنة بـ ﴿يَآ﴾: فهو حرف نداءٍ؛ كما هو معلوم عند علماء اللسان، و﴿أيُّهَا﴾: تنبيهٌ من الحق لعباده، ثم ﴿ءَامَنُوا۟﴾ : شهادةُ الرَّبِّ ـ جلَّ جلاله، لأحبابه ـ أهل رحمته وجنّته؛ فالنداءُ والتنبيهُ والشَّهادةُ، "جمعُ عنايةٍ من خاصة رحمته ـ لعباده وأحبابه"؛ وإذا ما امتثل العبد لهذا الأمر:

أدخله الله تعالى ـ الجنّة بغير حساب، وزاد عليه من فضله وكرمه المزيد. اللَّهُمَّ وفقنا لذلك. آمين.

قال الإمام جعفر الصادق ـ عليه السلام: لذةٌ في النداءِ؛ أزالَ بها تَعبَ العبادةِ والعَناء.

ـ يُشيرُ إلى أن المحبَّ يبادر إلى امتثال أمر محبوبه، حتى لو أمره بإلقاء نفسه في النار.

وقال بعضهم: ﴿يَآ﴾، حرفُ نداءٍ؛ وهو نداءٌ من الحَبيب للحَبيبِ، و﴿أيُّها﴾، تنبيهٌ من الحَبيبِ للحَبيب، و﴿ءَامَنُواْ﴾، شهادةٌ من الحبيب للحبيب[1].

= ومسند أحمد: لأحمد بن حنبل الشيباني: (ت٢٤١هـ)، قال أحمد مُحَمَّد شاكر: إسناده صحيح. ينظر: المسند، (٣٠٦/٢)، رقم: ١٦٦٠.

(١) تفسير روح البيان: (٢٨٩/١).

- وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، "اعلم أيُّها الأخ الأعز": مِنْ ضُروبِ البَلاغةِ: (يُذكرُ اللَّفظُ القرآنيُّ ويُرادُ بهِ بِكلِّ مَعانيهِ): الحقيقةُ، والمَجازُ، والإيهامُ اللّغويُّ، وهذا: من "ظِلال المعاني"، "أو أسرار رموز البلاغة"؛ التي هي"سر إعجاز القرآن المجيد وتحديه"؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾[1]، قال العلاّمة ابن كثير في "تفسيره": قال ترجمان القرآن؛ عبد الله[2] بن عباس: "أنا من الرَّاسخين الذين يعلمون

---

(١) سورة آل عمران.

(٢) هذه زيادة من المؤلف؛ وكما في الحديث أن رسول الله - ﷺ - دعا لابن عباس فقال: "اللَّهُمَّ فقهه في الدين، وعلمه التأويل".

تأويله"؛ وعن مجاهد قال: "الرَّاسخون في العلم يعلمون تأويله، ويقولون آمنّا به"[1]؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴿٨٣﴾﴾[2] ومعنى: ﴿يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ أي يستخرجونه من معادنه، يقال: استنبط الرجل العين إذا حفرها واستخرجها من قعورها.

ـ إذاً: فلفظة ﴿كُتِبَ﴾ فهي بين الأمر، والعلم، والقُرب.

فَصِيغَةُ الأمر أو الوجوبِ؛ في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ﴾ أي: "فُرِضَ"؛ كقوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا

(١) تفسير ابن كثير: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي: (ت٧٧٤هـ)، (٣٤٧/١).

(٢) سورة النساء.

﴿وَفَرَضۡنَٰهَا ۝١﴾ [1]، أي: أوجبنا العمل بها، لما فيها من الأحكام.

ـ عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم، لما بعث معاذاً ـ رضي الله عنه، إلى اليمن قال: «إِنَّكَ تَقْدَمُ على قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إليه عِبَادَةَ اللَّهِ، فإذا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قد فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فإذا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عليهم زَكَاةً من أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ على فُقَرَائِهِمْ، فإذا أَطَاعُوا بها فَخُذْ منهم، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ الناس». متفق عليه[2].

---

(١) سورة النور.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الزكاة ـ باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، رقم: ١٤٥٨، و ١٣٩٥، و ١٤٩٦، و ٢٤٤٨، و٤٣٤٧، و ٧٣٧١، ٧٣٧٢؛ وصحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم: ١٢١.

ـ وقال رسول الله ـ ﷺ: «أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللهِ ـ عَزَّوَجَلَّ، عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فيه أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فيه أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فيه مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فيه لَيْلَةٌ خَيْرٌ من أَلْفِ شَهْرٍ، من حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ» . رواهُ النسائي[1].

أمّا صيغةُ العلم؛ في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبَ﴾ فهي: ظاهر الكتاب؛ وهو "العلم" الذي يؤخذ من الكتاب؛ كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٠﴾﴾[2]، وقال أكمل الرسل ـ ﷺ: «من صَامَ رَمَضَانَ وَعَرَفَ حُدُودَهُ، وَتَحَفَّظَ مِمَّا كان

---

(١) سنن النسائي الكبرى: (٢/٦٦)، رقم: ٢٤١٦؛ وسنن النسائي: كتاب الصيام ـ ذكر الاختلاف على معمر فيه، رقم: ٢١٠٦، قال أحمد مُحَمَّد شاكر: إسناده صحيح، ينظر: المسند: (٦/٧، ٧)، رقم: ٧١٤٨.

(٢) سورة النمل.

ينبغي له أن يَتَحَفَّظَ فيه كَفَّرَ ما قَبْلَهُ»[1]، قوله: «من صَامَ رَمَضَانَ»، المراد بالصيام الذي هذا شأنه ما وقع خالصاً سالماً من الرياء والشوائب. وقوله: «وَعَرَفَ حُدَودَهُ»: وهذه الحدود معرفتها من الدين في كل لفظٍ هو كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ، ثم قد تكون معرفتها فرض عين، وقد تكون فرض كفاية، ولهذا ذم الله تعالى من لم يعرف هذه الحدود؛ بقوله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ

(١) مسند احمد: (١٠/١٧٢)، رقم: ١١٤٦٢، قال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن؛ وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: لأبي حاتم مُحَمَّد بن حبان بن أحمد التميمي البستي: (ت٣٥٤هـ) (٨/٢١٩)، رقم: ٣٤٣٣؛ والسنن الكبرى: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي: (ت٤٥٨هـ)، (٤/٣٠٤).

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾[1]؛ ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾ أي: أهل البادية أشدُّ كُفرًا ونفاقًا من أهل الحَظَر الكفار والمنافقين؛ لجفائهم، وقساوة قلوبهم، وقلة مشاهدتهم ومخالطتهم لأهل العلم، والخير والصلاح؛ كما قال ـ ﷺ: «وَالْجَفَاءُ وَغِلَظُ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ»[2]، «الْفَدَّادِينَ» أي: "الرعاةُ والجمالون"، القُساةُ البعيدون عن الدين.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ أي: وهم أولى بألا يعلموا ما أنزل الله على رسوله من الأحكام والشرائع،

---

(١) سورة التوبة.

(٢) صحيح البخاري: كتاب المغازي. باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، رقم: ٤٠٣٦، وفي لفظ آخر عند البخاري كتاب الطلاق. باب اللعان، رقم: ٤٨٩١، ومسلم في كتاب الإيمان. باب تَفَاضُلِ أَهْلِ الإِيمَانِ فِيهِ وَرُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ، رقم: ٧٢: "وَإِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلَظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ".

وهي: فرائض الله وأوامره ونواهيه.﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال خلقه، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبره لهم.

وصِيغةُ القربِ: كما في الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ـ ﷺ: «قال الله: كُلُّ عَمَلِ بن آدَمَ له إلا الصِّيَامَ فإنه لي وأنا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وإذا كان يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فلا يَرْفُثْ، ولا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أو قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إني امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ من رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إذا أَفْطَرَ فَرِحَ، وإذا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»[1]، وفي روايةٍ: «وَالَّذِي

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الصوم ـ باب هل يقول إني صائم إذا شتم، رقم: ١٨٠٥؛ وصحيح مسلم: كتاب الصيام ـ باب ما جاء في فضل الصوم،=

نفسي بيده لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ من رِيحِ الْمِسْكِ، إنما يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ من أَجْلِي، فَالصِّيَامُ لي، وأنا أَجْزِي بِهِ، كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إلى سبعمائة ضِعْفٍ، إِلا الصِّيَامَ فَهُوَ لي، وأنا أَجْزِي بِهِ»[1]؛ ذكر أبو الخير الطالقاني: فيه خمسة وخمسين قولاً؛ "ومن أحسنها قولان": أحدهما وهو المشهور: إن الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلاَّ الصَّوم.

الثاني: أنَّه يوم القيامة يتعلق خصماؤه بجميع أعماله إلاَّ الصوم فلا سبيل لهم عليه فإنَّه لله، فإذا لم يبق إلاَّ الصَّوم فيتحمل الله ما بقي من المظالم

= رقم: ١١٥١؛ وسنن الترمذي: لمحمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ) كتاب الصوم . باب ما جاء في فضل الصوم، رقم: ٧٦٤.

(١) صحيح مسلم: كتاب الصيام . باب ما جاء في فضل الصوم، رقم: ١١٥١؛ ومسند أحمد، رقم:٩٧١٢؛ وسنن البيهقي الكبرى: (٤/٢٧٣).

ويدخله الجنَّة بالصَّوم ـ قاله سفيان بن عيينة[1] ـ رضي الله عنه.

وقال العلامة الدِّمْياطي في "الإعانة": وإنما اختص الصوم به سبحانه وتعالى؛ لأنه لم يتقرب لأحد بالجوع والعطش إلا لله تعالى، ولأنه مظنَّة الإخلاص لخفائه دون سائر العبادات؛ فإنها أعمال ظاهرة يطلع عليها، فيكون الرياء أغلب فيها[2].

قلتُ: وهو معرج الروح إلى عالم القدس الأعلى، ومشاهدي الجمال الأجلى؛ وقد تولى الله بذاته الأقدس ـ "الأجر والجزاء"، فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب؛ والمعنى جزاؤه

---

(١) البدر المنير: لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن: (ت٨٠٤ هـ)، (١/٦٩٥).

(٢) إعانة الطالبين: لأبي بكر عثمان بن مُحَمَّد شطَّا الدّمياطي البكري: (ت١٣٠٠هـ)، (١/٢٤٤).

لقائي ورضواني، أي: رؤيتي بالعقبى، ومعرفتي في الدُّنيا، كما قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾[1]، جنّةٌ في الدُّنيا، وهي: المعرفةُ، والأنسُ باللهِ تعالى، وفي الآخرة: الجنّةُ والشهودُ والرضا؛ كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩﴾[2]، وقال ـ جلَّ وعلا: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٧٢﴾[3].

جناتُ ذِكْرِكَ في الفُؤادِ مَعالمٌ	وَمَعاني حُبِّكَ لِلجِنانِ حَنانُ
وَوِدادُ حُبِّكَ للجِنانِ مَحاسِنٌ	تَبقى وَحُبُّكَ للنَعيمِ جِنانُ

(١) سورة الرحمن.

(٢) سورة الواقعة.

(٣) سورة التوبة.

قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: كُلُّ أَجْرٍ يُوزَنُ وَزْنًا، وَيُكَالُ كَيْلاً إلا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ يُحْثَى حَثْيًا، وَيُغْرَفُ غَرْفًا؛ وَلِذَلِكَ قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: هُوَ الصَّبْرُ عَلَى فَجَائِعِ الدُّنْيَا وَأَحْزَانِهَا؛ فَلا شَكَّ أَنَّ كُلَّ مَنْ سَلَّمَ فِيمَا أَصَابَهُ، وَتَرَكَ مَا نُهِيَ عَنْهُ فَلا مِقْدَارَ لأَجْرِهِ، وَأَشَارَ بِالصَّوْمِ إِلَى أَنَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَمِيعَهُ[1].

روى البيهقي عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رسول الله ـ ﷺ: «نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ، وَصَمْتُهُ تَسْبِيحٌ، وَعَمَلُهُ مُضَاعَفٌ، وَدُعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ، وَذَنْبُهُ مَغْفُورٌ»[2]، وأخرج الحافظ زين الدين بن رجب

(١) أحكام القرآن: لأبي بكر مُحَمَّد بن عبد الله الأندلسي المعروف بـ(ابن العربي): (ت٥٤٣هـ)، (١٠٧/٧).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي: (٤١٥/٣).

الحنبلي، في الحديث المرفوع قال: «نوم الصائم عبادة»، وفي روايةٍ «نومٌ على عِلمٍ، خيرٌ من صَلاةٍ على جَهْلٍ»[1]. قالت حفصة بنت سيرين: قال أبو العالية: الصَّائم في عبادة ما لم يغتب أحداً، وإن كان نائماً على فراشه، فكانت حفصة تقول: ((يا حبذا عبادة وأنا نائمة على فراشي))، خرجه الحافظ عبد الرزاق[2].

قال تعالى: ﴿ إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ ﴿١٢٠﴾ ﴾[3]، قال "صاحب التحرير": معنى ذلك: أن يكتب لهم بكل شيء من أنواع تلك

(١) حلية الأولياء: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: (ت٤٣٠هـ)، (٣٨٥/٤).

(٢) مصنف عبد الرزاق: لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني: (ت٢١١هـ)، (٣٠٧/٤).

(٣) سورة التوبة.

الأعمال عمل صالح، أي جعَل الله كل عمل من تلك الأعمال عملاً صالحًا، وإن لم يقصِد به عاملوه تقربًا إلى الله؛ فإن تلك الأعمال تصدر عن أصحابها وهم ذاهلون في غالب الأزمان أو جميعها عن الغاية منها، فليست لهم نيات بالتقرب بها إلى الله، ولكن الله تعالى بفضله جعلها لهم قربات، باعتبار شرف الغاية منها؛ وذلك بأن جعل لهم عليها ثوابًا كما جعل للأعمال المقصود بها القربة، كما ورد: «أن نوم الصائم عبادة»[1].

---

(١) تفسير التحرير والتنوير المعروف بـ "تفسير ابن عاشور": للعلامة الشيخ مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن عبد القادر بن مُحَمَّد بن عاشور: (ت١٢٨٤هـ)، (١٠/٢٢٥، ٢٢٦).

وقال العلاّمة الرازي في "تفسيره": ((أي إلا كان ذلك قربة لهم عند الله، ونقول: دلَّت هذه الآية على أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيته وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله، وكذا القول في طرف المعصية؛ فما أعظم بركة الطاعة وما أعظم شؤم المعصية))[1]. فتأمل.

روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ أن النَّبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم، قال: «من صَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ، وَمَنْ قام لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ»[2]، قوله: «إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا»: «إِيمَانًا»، أي: عزيمةً وسرورًا؛ وإن طال

(١) التفسير الكبير: للإمام الرازي، (١٦/١٦٨).

(٢) صحيح البخاري: كتاب صلاة التراويح ـ باب فضل ليلة القدر، رقم: ١٨٧٥؛ وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح، رقم: ١٢٦٨.

يومه، واشتد حَره، «وَاحْتِسَابًا»، أي: رجاءً من الله تعالى القبول والجزاء؛ "أو طلبًا لوجه الله تعالى وثوابه"؛ أو «إِيمَانًا» بأنه فرض عليه، و«وَاحْتِسَابًا» ثوابه عند الله تعالى.

ـ "لأنَّ الصّائمَ" مُتخلق بالأخلاق الصَّمديَّة؛ "لأن فيه الاستغناء عن الأكل والشرب والجماع"؛ "ويكون الصائم حليمًا"؛ "وكذلك النَّفس والشَّيطان اللذان هما أصل المعاملة"، فهما: "مقهوران مغلوبان في قبضة الله ـ سبحانه وتعالى ـ ويكونان مقهورين مغلوبين أيضًا في قبضة الصائم، بفضل الله عليه ـ لصبره وتقواه"؛ وكلّ ذلك من الصفات الصّمدية؛ لأنَّها من أخلاق الله ـ عَزَّوَجَلَّ، فالله يُطْعِم ولا يُطعَم، ولم يلد ولم يولد، ولم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا؛ ومن صفاته

ـ جلَّ وعلا: (الحَلِيم)؛ فالصائم إذا ما قُوتِل أو شُتِمَ، فليقل: إني امرؤ صائم، وهذه صفة "الحَلِيم"؛ وهو تعالى ـ جلَّ جَلالُهُ: القاهر فوق عباده. "فصار الصائم مُتخلقًا بِخُلق الحق في الجملة". "ولو كان وصفه ـ سبحانه وتعالى، بنعت الدوام".

والصِّيامُ: عَملٌ سِرِّيٌّ، وقصدٌ قلبيٌّ مع ترك المفطر الصُّوريّ، والملائكة لا يطّلعون على ما لا عمل فيه، فهو سِرٌ بين العبد وربِّه بحيث لا يطلع عليه غيره؛ كما في الحديث القدسيّ؛ قال تعالى: «فأنا أتولى جزاءه على ما أُحب من التضعيف، وليس على كتاب كتب له»[1]، اللَّهُمَّ جزاءك الأوفى، بما أنت أهله، يا اللهُ. آمين.

(١) شعب الإيمان: (٣/٢٩٥)، رقم: ٣٥٨٣.

"أي أخي": اعلم أنَّ للصائم: مراتبَ ثلاثاً:-

المرتبة الأولى: "الفرضية بالأمر"، وهي أدنى رتبة، وهي: الكفُّ عن الشهوتين ـ البطن والفرج في وقته مقرونًا بالنِّيَّة المعتبرة المذكورة في محله، وهذا: جواز الفتوى في ظاهر شرع الدُّنيا: كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾[1]، أي: طاعتُهُ، وعدم مخالفته مطلقًا، إذ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ للذين يُخالفونه ـ ﷺ.

المرتبة الثانية: "كفّ الجوارح عن المعاصي، وتقييدها بالطاعات"، أي: منع الأعضاء من

---

(١) سورة الحشر.

العين، والأذن، واللسان، وسائر الأعضاء والأركان عن مطلق العصيان، لقوله ـ ﷺ: «من لم يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ في أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»[1]، ولقوله ـ ﷺ: «إذا أَصْبَحَ أحدكم يَوْمًا صَائِمًا، فلا يَرْفُثْ، ولا يَجْهَلْ، فَإِنِ امْرُؤٌ شَاتَمَهُ أو قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إني صَائِمٌ إني صَائِمٌ»[2] وهو: "مناط القبول"، وليس الجواز، وهي: مرتبة العلم والعمل؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾[3]، والتَّقوى هي: أداءُ

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الصوم ـ باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم: ١٧٧٠.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الصوم ـ باب فضل الصوم، رقم: ١٨٩٤، صحيح مسلم: كتاب الصيام ـ باب فضل الصيام، رقم: ٢٧٠٠.

(٣) سورة المائدة.

الواجباتِ، واجتنابُ المحرماتِ، ومن تلك الواجبات: تعلم العلم الشَّرعيِّ الضَّرُوريِّ.

المرتبة الثالثة: "كف القلب عمَّا سوى الله تعالى"، وهو: أن يخاف الرَّد، ويرجو القبول؛ وهو: حال الخشية والهيبة؛ وهذا حال الكبار ـ من النَّبيِّين والرَّبانيِّين؛ كما قال ـ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾[1]، ولقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٣٩﴾[2]، ولقول النَّبيِّ الكريم ـ ﷺ: «فَوَاللَّهِ، إني لأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ،

(١) سورة الأنبياء.

(٢) سورة الأحزاب.

وَأَشَدُّهُمْ له خَشْيَةً»[1]، وكان يدعو ويقول: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لنا من خَشْيَتِكَ، ما يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ»[2]؛ ويقول ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي

(١) صحيح البخاري: كتاب الأدب ـ باب من لم يواجه الناس بالعتاب، رقم: ٥٦٣٦؛ وصحيح مسلم: كتاب الفضائل ـ باب علمه ﷺ، بالله تعالى وشدة خشيته، رقم: ٤٣٤٦.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الدعوات ـ باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، رقم: ٣٤٢٤، وقال: هذا حديث حسن غريب؛ وسنن النسائي الكبرى: (١٠٦/٦)، رقم: ١٠٢٣٤.

ـ قوله:"اللّهُمَّ اقسم لنا" أي اجعل لنا من خشيتك أي من خوفك، ما. أي قسما ونصيبا يحول من حال يحول حيلولة أي يحجب ويمنع بيننا وبين معاصيك لأن القلب إذا امتلأ من الخوف أحجمت الأعضاء عن المعاصي "ومن طاعتك" أي بإعطاء القدرة عليها والتوفيق لها، ما تبلغنا بالتشديد أي توصلنا أنت به جنتك، أي مع شمولنا برحمتك وليست الطاعة وحدها مبلغة.

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ»[1]. فكلما قويَ إيمان العبد ويقينه قويَ خوفه ورجاؤه مطلقًا؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴿٢٨﴾﴾[3]، فكلما كان العبد بالله أعلم كان له أخوف. قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه: (وكفى بخشية الله علمًا).

---

(١) سنن النسائي: كتاب السهو. نوع آخر، رقم: ١٣٠٥؛ وصحيح ابن حبان: (٥/٣٠٥)، رقم: ١٩٧١، بسند صحيح؛ ومسند البزار: لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار: (ت٢٩٢هـ)، (٤/٢٢٩)، رقم: ١٣٩٣.

(٢) سورة المؤمنون.

(٣) سورة فاطر.

قال العلاّمة ابن القيّم: ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد به، فأعرف الناس أخشاهم لله فمن عرف الله اشتد حياؤه منه، وخوفه منه، وحبه له، وكلما ازداد معرفة أزداد حياءً وخوفًا وحبا، فالخوف من أجَلِّ منازل الطريق، وخوف الخاصَّة أعظم من خوف العامَّة؛ وهم إليه أحوج، وهم به أليق، ولهم ألزم؛ لذا: ثبت عن النَّبِيِّ ـ ﷺ، وكانت أكثر يمينه ـ ﷺ: «لا، وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ. لا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ»[1]. ويكفي

(١) صحيح البخاري: كتاب التوحيد ـ باب كيف كانت يمين النبي ـ ﷺ، رقم: ٦٦٢٨.

في هذا قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ ﴿٢٤﴾﴾[1]. انتهى[2].

ـ ومن ذلك؛ ما ذكرهُ الإمام "الشّاطبيّ"، قائلاً: قد روي عن أبي بكر الصِّدِّيق في وصيته لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ عند موته حين قال له: ألم تر أنه نزلت آية الرخاء مع آية الشِّدَّة، وآية الشِّدَّة مع آية الرخاء، ليكون المؤمن راغبًا راهبًا، فلا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقي فيها بيده إلى التهلكة، أولم تر يا عمر أن الله ذكر أهل النار

---

(١) سورة الأنفال.

(٢) ينظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين: لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعيد الزرعي، "المعروف بابن القيم": (ت٧٥١هـ) (ص٤٢٤).

بسيئ أعمالهم؛ لأنه رّد عليهم ما كان من حسن، فإذا ذكرتهم قلت؛ اني أخشى أن أكون منهم. وذكر أهل الجنّة بأحسن أعمالهم؛ لأنه تجاوز لهم عما كان لهم من سيء، فإذا ذكرتهم قلت: إني مقصر، أين عملي من أعمالهم!"[1].

كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[2]. ﴿رَغَبًا﴾ أي: طمعًا في رحمته ولطفه وجماله، ﴿وَرَهَبًا﴾ خوفًا من قهره

(١) الموافقات: لإبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي: (ت٧٩٠هـ)، (١٤٠/٣).

(٢) سورة الأنبياء.

وجلاله، وراهبين مما سواه، كقوله ﷻ: ﴿يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۝٩﴾[1].

﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾، عابدين في تواضع وضراعة؛ والخشوع هو الخوف اللازم للقلب؛ فيكون الخاشع هو الحذر الذي لا ينبسط في الأمور خوفًا من الوقوع في الإثم. وقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لَكُمْ عِلْمًا فَانْتَهُوا إِلَى عِلْمِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لا يَدْرِي كَيْفَ صَنَعَ اللَّهُ فِيهِ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لا يَدْرِي كَيْفَ اللَّهُ بِصَانِعٍ فِيهِ، فَلْيَتَزَوَّدِ الْمَرْءُ لِنَفْسِهِ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لآخِرَتِهِ، وَمِنَ الشَّبَابِ قَبْلَ

---

(١) سورة الزمر.

الْهَرَمِ، وَمِنَ الصِّحَّةِ قَبْلَ السَّقَمِ، فَإِنَّكُمْ خُلِقْتُمْ لِلآخِرَةِ، وَالدُّنْيَا خُلِقَتْ لَكُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ، وَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا دَارٌ إِلا الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ»[1].

ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٍ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾[2].

---

(١) شعب الإيمان: (٧/٣٦٠)، رقم: ١٠٥٨١.

(٢) سورة آل عمران.

اللَّهُمَّ؛ هب لنا من فضلك مقام الخوف منك، والخشوع لجلال وجهك الكريم. آمينَ آمينَ آمين.

"أي أخي": هنالك مناسبةٌ بين العابدِ الزاهدِ في أيام السَّنَةِ كلِّها، وبين الصَّائم المتوجه إلى الله تعالى في شهر رمضان؛ فالصَّائمُ عابدٌ وإن نامَ، ذاكرٌ وإن سَكتَ، حليمٌ وإن حُورِبَ، قاهرٌ لنفسهِ وشَيطانهِ بإذن ربه ـ عَزَّوَجَلَّ؛ والعارفُ باللهِ؛ نائمٌ على الذكرِ، مُتعلقُ الفكر بربه، ذاكرُ القلبِ بسرهِ، مُتحملٌ بدعوتهِ، منتبهٌ مُجاهدٌ لنفسه وشيطانه؛ كما قال مفتي الحنابلة الشيخ؛ عبد القادر الجَيلاني ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، في "الفتح"[1]: إذا دام القلب على ذكر الحق ـ عَزَّوَجَلَّ، جاءت إليه المعرفة،

(١) الفتح الرباني للإمام الشيخ عبد القادر الكَيلاني ـ قدس الله روحه: (ت٥٦١هـ)، (ص٢٠٦).

والعلم، والتوحيد، والتوكل، والإعراض عما سواه في الجملة، دوام الذكر سبب لدوام الخير في الدنيا والآخرة، إذا صح القلب: صار الذكر دائمًا فيه، يكتب في جوانبه، وعلى جملته، فتنام عيناه وقلبه ذاكر لربه ـ عَزَّوَجَلَّ، يرث ذلك عن نبيه ـ ﷺ، الذي قال: «يا عَائِشَةُ، إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ ولا يَنَامُ قَلْبِي». متفق عليه[1].

قال العلاّمة المناوي: لأن النفوس الكاملة القدسيّة لا يضعف إدراكها بنوم العين واستراحة

(١) صحيح البخاري: كتاب التهجد ـ باب قيام النبي ﷺ، بالليل في رمضان وغيره، رقم: ١١٤٧، وفي كتاب صلاة التراويح ـ باب فضل من قام رمضان، رقم: ٢٠١٣، وفي كتاب المناقب ـ باب كان النبي ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه، رقم: ٣٥٦٩، صحيح مسلم:كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، في الليل وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة، رقم: ١٧٢٠.

البدن، ومن ثم كان سائر الأنبياء مثله لتعلق أرواحهم بالملأ الأعلى[1].

فصار نوم العارف عبادة، ونوم الصائم عبادة، وسكوت العارف بالله حضور مع الله وذكر وافتقار، وسكوت الصائم تسبيح وصبر وانكسار؛ وإذا ما اعتاد الصائم على ذلك، واشتغلت أعضاؤه، وفكره، وقلبه مع الله تعالى ـ كما كان في رمضان؛ تحول حالهُ إلى عملٍ من أعمال أهل المعرفة بالله تعالى.

اللَّهُمَّ؛ حقق فينا هذا بما أنت أهله ـ يالطيف يا واسع يا عليم، يا الله، آمينَ آمين.

---

(١) فيض القدير: لعبد الرؤوف، مُحَمَّد علي بن زين العابدين الحدادي المناوي: (ت١٠٣١هـ)، (٣/٢٦٩).

ـ وقال تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾، من الأنبياء ـ عليهم السّلام ـ والأمم من لدن آدم ـ عليه السّلام ـ وفيه تأكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لأنفس المخاطبين، فإن الصَّوم عبادة شاقَّة، والشيء الشَّاقّ إذا عمَّ سهل تحمله ويرغب كل أحد في إتيانه؛ "والظاهر أن التشبيه إلى أصل إيجاب الصوم، لا إلى كمية الصوم المكتوب وبيان وقته"، والتشبيه لا يقتضي التَّسوية من كل وجه، وهذا التشبيه يسمَّى "مرسلاً مجملاً"؛ كما يقال في الدعاء: اللَّهُمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وكما قال أكمل

الرسل ﷺ: «نَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ هذا الْقَمَرَ لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِه»[1]، فإن هذا تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي[2].

قلتُ: فنفحات الحق وتجلّياته ـ جلَّ جلالُه، وعمَّ فَضلُهُ ونَوالُهُ ـ في زمان الشَّهر، وقدر الصَّائم لهذه الأمّة المرحومة خُصوصية لم تكن

(١) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة . باب فضل صلاة العصر، رقم: ٥٥٤، وباب فضل صلاة الفجر، رقم: ٥٧٣، وفي كتاب التفسير . تفسير سورة ق، وباب ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة ق]، رقم: ٤٨٥١، وفي كتاب التوحيد . باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الإنسان]، رقم: ٧٤٣٤، و ٧٤٣٥، و ٧٤٣٦؛ وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة . باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم: ١٤٣٢.

(٢) روح البيان: (٢٨٩/١)، وغيره.

لأيِّ أُمةٍ قد كُتِبَ عليها الصِّيام من قَبلُ؛ كما قال تعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾[1].

ـ وقال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، فإن الصِّيام من أكبر أسباب التَّقوى؛ لأن فيه امتثال أمر الله، واجتناب نهيه، ومقصود الصَّوم وحكمته هي "التَّقوى": "وهي أصل التَّكليف"؛ ككسر الشهوة، وما يُبعد عن الله تعالى؛ وقيل: أن يعتاد الصَّائم على الصبر، ومواساة الفقير، وذكر عَطش العَرَصَات، وجوع الجحيم، ويُسر المواظبة على الطَّاعة لخِفَّة البدن، وغير ذلك من الأخلاق والتهذيب؛ مما يُقرب إلى الله تعالى.

---

(١) سورة القدر.

قال محمّد الطاهر "ابن عاشور" عند قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ بيان لحكمة الصِّيام وما لأجله شرع، فهو في قوة المفعول لأجله لكُتب. و(لَعَل) إما مستعارة لمعنى كي استعارة تبعيّة، وإما تمثيليّة بتشبيه شأن الله؛ في إرادته من تشريع الصوم التَّقوى بحال المرتجي من غيره فعلاً ما، والتَّقوى الشَّرعيَّة هي اتقاء المعاصي، وإنما كان الصِّيام موجبًا لاتقاء المعاصي، لأن المعاصي قسمان: قسم ينجع في تركه التفكر كالخمر والميسر والسرقة والغضب فتركُه يحصل بالوعد على تركه، والوعيد على فعله، والموعظة بأحوال الغير، وقسم ينشأ من دواعي طبيعية كالأمور الناشئة عن الغضب وعن الشهوة الطبيعية التي

قد يصعب تركها بمجرد التفكر، فجعل الصِّيام وسيلة لاتقائها، لأنه يُعَدِّل القوى الطَّبيعيِّة التي هي داعية تلك المعاصي، ليرتقي المسلم به عن حضيض الانغماس في المادة إلى أوج العالَم الرُّوحاني، فهو وسيلة للارتياض بالصفات الملكية والانتفاض من غبار الكدرات الحيوانيّة. وفي الحديث الصحيح: «الصَّوْمُ جُنَّة» أي وقاية، ولما تُرك ذكر متعلَّق جُنَّة تعيَّن حمله على ما يصلح له من أصناف الوقاية المرغوبة، ففي الصّوم وقاية من الوقوع في المآثم، ووقاية من الوقوع في عذاب الآخرة، ووقاية من العِلل والأدْواء الناشئة عن الإفراط في تناول اللَّذَّات. انتهى[1].

(١) التحرير والتنوير: (١٥٦/٢).

"أي أخي" اعلم أن للتقوى: مراتبَ ثلاثاً؛ المرتبة الأولى: "تقوى الأوامر"، ومنها: العلم الشّرعيّ الضّروريّ؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾[1]، أي: بكلِّ ما أمركم به فافعلوه، وكل ما نهاكم عنه فاتركوه، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ولا تخالفوا رسول الله ﷺ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ للذين يخالفونه؛ وهذا شامل لأصول الدِّين وفروعه وظاهره وباطنه، وإن ما جاء به الرّسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه ولا تحل مخالفته، "وإن نص الرّسول على حكم الشيء كنصِّ الله تعالى لا رخصة لأحد ولا عذر

(١) سورة الحشر.

له في تركه"، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله، ثم أمر بتقواه التي بها عمارة القلوب والأرواح والدُّنيا والآخرة، وبها السعادة الدائمة والفوز العظيم، وبإضاعتها الشقاء الأبديُّ والعذاب السَّرمديُّ، فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ على من ترك التقوى وآثر اتباع الهوى[1].

وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾[2] سُئِلَ سفيان بن عيينة ـ رضي الله عنه، عن فضل العلم، فقال: ألم تسمع قوله حين بدأ به

(١) تفسير السعدي: للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدِّي: (ص٨٥٠).

(٢) سورة مُحَمَّد ـ صلى الله عليه وسلم.

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾، فأمر بالعمل بعد العلم؛ وقال رسول الله ـ ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ على كل مُسْلِمٍ»[1]، أي: علم الدين الضَّروري الشامل لمعرفة الله تعالى، ومعرفة رسله وغيرهما من ضروريَّات الاعتقاد، والشامل أيضًا لمعرفة أحكام الدين الواجب ـ من شروطها وأركانها ومبطلاتها؛ وهو العلم الذي لا يقدر المكلف الجهل به؛ كمعرفة الصانع وما يجب له، وما يستحيل عليه، ومعرفة رسله، وكيفية الفروض العينية.

---

(١) سنن ابن ماجه: كتاب المقدمة ـ باب فضل العلماء، والحث على طلب العلم، رقم:– ٢٢٤، سئل محيي الدين النووي عن هذا الحديث، فقال: إنه ضعيف، وإن كان صحيحاً، وقال تلميذه الحافظ المزي: هذا الحديث روي من طريق تبلغ رتبة الحسن، وقال الألباني: صحيح دون قوله: " وواضع العلم عند غير أهله" ينظر: شروح ابن ماجه: (١/١٤٥).

أما العلم بالله: وصفته التي تنشأ عن المعارف القلبية، وذلك لا يحصل من علم الكلام بل يكاد أن يكون حجابًا مانعًا، وإنما يتوصل له بالمجاهدة[1].

المرتبة الثانية: "تقوى القلوب"، وهي: التعظيم لشعائر الله، ومنها: تعظيم الحق وأهله ـ لمعاونتهما وإظهارهما، وحفظ حرمات الله ـ من الأمكنة، والأزمنة، والأنفاس، لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾[2]، ﴿تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ أي: أخلصها وقبولها عند الله ـ عَزَّوَجَلَّ، "في زيادة الإيمان، وقوة اليقين".

(١) فيض القدير: (٤/٢٦٧).

(٢) سورة الحج.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]، فإن تعظيمها من تقوى القلوب؛ التي تتصف بها قلوب الأتقياء الصَّالحين؛ وإن من أنواع البيان التي تضمنها: "أن يذكر لفظ عام ثم يصرّح في بعض المواضع بدخول بعض أفراد ذلك العام فيه، فيكون ذلك الفرد قطعيّ الدخول لا يمكن إخراجه بمخصّص"، ومرادنا بذلك هذه الآية الكريمة؛ لأن قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ عام في جميع شعائر الله، وقد نص تعالى على أن البُدن فرد من أفراد هذا العموم داخل فيه قطعاً وذلك في قوله: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾

(١) سورة الحج.

فيدخل في الآية تعظيم البُدن واستسمانها واستحسانها: وقد ذكر البخاري؛ أنهم كانوا يسمنون الأضاحي وكانوا يرون أن ذلك من تعظيم شعائر الله[1].

ـ وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۝٣٠﴾[2]، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾، أي: فرائضه وكلّ ما لا يحل هتكه ﴿فَهُوَ﴾، التعظيم ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ أي: للمعظم ﴿عِندَ رَبِّهِۦ﴾أي: ثوابًا وقُربًا؛ "لأنه تعظيمُ الله تعالى"؛ ومن عظَّمَ اللهَ؛ قَرّبَهُ وأَكْرَمَهُ. فتنبه.

(١) ذكر البخاري في كتاب الأضاحي . بَاب في أُضْحِيَّةِ النبي . ﷺ . بِكَبْشَيْنِ أَقْرَنَيْنِ وَيُذْكَرُ سَمِينَيْنِ، وقال يحيى بن سَعِيدٍ: سمعت أَبَا أُمَامَةَ بن سَهْلٍ قال: كنا نُسَمِّنُ الْأُضْحِيَّةَ بِالْمَدِينَةِ، وكان الْمُسْلِمُونَ يُسَمِّنُونَ.

(٢) سورة الحج.

قال ابن القيم؛ في "المدارج" إن الحرمات تعم هذا كلّه؛ وهي جمع حرمة وهي: ما يجب احترامه وحفظه من الحقوق والأشخاص والأزمنة والأماكن، فتعظيمها: توفيتها حقَّها وحفظها من الإضاعة[1].

المرتبة الثالثة: "امتحان تقوى القلوب"، ومنها: الأدب، والصُّحبة، والخدمة في سبيل الله تعالى: كما قال الحقّ سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣﴾[2]، وهذا أدب مع الرَّسول ـ ﷺ، في خطابه، أي لا يرفع المخاطب له صوته معه فوق صوته، ولا يجهر له

(١) مدارج السالكين: (٢/٧٤).

(٢) سورة الحجرات.

بالقول، بل يغض الصَّوت ويخاطبه بأدب ولين وتعظيم وتكريم وإجلال وإعظام، ولا يكون الرَّسول كأحدهم بل يميّزونه في خطابهم كما تميّز عن غيره في وجوب حقّه على الأمة، ووجوب الإيمان به، والحبّ الذي لا يتم الإيمان إلا به، فإن في عدم القيام بذلك محذورا خشية أن يحبط عمل العبد وهو لا يشعر، كما أن الأدب معه من أسباب حصول الثواب وقبول الأعمال، ثم مدح من غض صوته عند رسول الله ـ ﷺ، بأن الله امتحن قلوبهم للتّقوى؛ أي ابتلاها واختبرها فظهرت نتيجة ذلك بأن صلحت قلوبهم للتّقوى، ثم وعدهم المغفرة لذنوبهم المتضمِّنة لزوال الشر والمكروه، وحصول الأجر العظيم الذي لا يعلم وصفه إلا الله تعالى، وفيه حصول كل محبوب، وفي

هذا دليل على أن الله يمتحن القلوب بالأمر والنهي والمحن؛ فمن لازم أمر الله، واتبع رضاه، وسارع إلى ذلك، وقدمه على هواه، تمحض وتمحص للتّقوى، وصار قلبه صالحًا، ومن لم يكن كذلك علم أنه لا يصلح للتقوى.

قال الحسين ـ رضي الله عنه: ((من امتحن الله قلبه للتّقوى؛ كان شعاره القرآن، ودثاره الإيمان، وسراجه التفكر، وطيبه التَّقوى، وطهارته التَّوبة، ونظافته الحلال، وزينته الورع، وعلمه الآخرة، وشغله بالله، ومقامه مع الله، وصومه إلى الممات، وإفطاره من الجنّة، وجمعه الحسنات، وكنزه الإخلاص، وصمته المراقبات، ونظره المشاهدات))[1].

---

(١) روح البيان: (٩/ ٦٦، ٦٧).

قلتُ: هذا مؤيدٌ بقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣﴾[1]، فقد فسرها الحق ـ" جلَّ وعلا"، بقوله: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٩٦﴾[2]، وقال النَّبيُّ الكريم ـ ﷺ: «جماع التّقوى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[3].

---

(١) سورة الحجرات.

(٢) سورة النساء.

(٣) سورة النحل. تفسير البغوي: لأبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود البغوي: (ت ٥١٦هـ)، (١/ ٦٠).

واعلم أيها الأخ الكريم: من رُزق العلم الشَّرعيِّ؛ فقد فتح الله عليه أبواب الهدى والإنابة، ومن رُزق علم المعرفة الإلهيّة؛ فقد فتح الله عليه باب المحبّة والقرب، ومن رُزق عمل المعرفة بالله؛ فقد دخل في معارج القرب والمشاهدة، ومن أُكرم بمصاحبة أهل المعرفة الإلهيّة؛ فقد أكرَمَهُ الله بجاههم ـ الذي هو محض الفضل والكرم منه ـ سبحانه وتعالى؛ كما قال الله ـ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾[1]، قال الحافظ السيوطي في

(١) سورة النساء.

"تفسيره": ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ أفاضل أصحاب الأنبياء لمبالغتهم في "الصدق والتصديق". ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ القتلى في سبيل الله. ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي القائمين بحقوق الله وحقوق عباده. ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ رفقاء في الجنة بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وإن كان مقرهم في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم. قال "العلاّمة الصاوي": والمعنى: أن من أطاع الله كان رفيقًا لمن ذكر، وليس ذلك بسفر ولا مشقة بل يكشف له عمن ذكر ويحادثه مع كون كل في درجته لا يصعد هذا لهذا ولا ينزل هذا لهذا؛ قال تعالى: ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ

سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾[1]، فإذا تمنى الشخص مشاهدة النَّبيِّ ومحادثته حصل ذلك من غير مشقة ولا انتقال[2]. ولما روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم، قال: «الْمَرْءُ على دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أحدكم من يُخَالِلُ»[3].

---

(١) سورة الحجر.

(٢) حاشية العلاّمة الصاوي: للشيخ أحمد بن مُحَّد الخلوتي الشهير بالصاوي: (ت١٢٤١هـ)، (٢٢٨/١).

(٣) مسند أحمد: (٣٠٧/٨)، رقم: ٨٣٩٨، وسنن أبي داود: لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: (ت٢٧٥هـ)، كتاب الأدب . باب ما يؤمر أن يجالس، رقم: ٤٨٣٣، وسنن الترمذي: كتاب الزهد . باب ما جاء في أخذ المال في حقه، رقم: ٢٣٧٨، وشعب الإيمان: (٥٥/٧)، قال مُحَّد بن عبد الله الخطيب التِّبريزي: (ت ٧٣٧ هـ)، وفي مشكاة المصابيح، (١٣٩٧/٣): رواه أحمد والترمذي وأبو داود والبيهقي في شعب الإيمان، وقال النووي: إسناده صحيح.

قال الإمام الغزالي: ((مجالسة الحريص ومخالطته تحرك الحرص، ومجالسة الزاهد ومخالطته تزهد في الدنيا؛ لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري))[1].

لذا قيل: "من جالس جانس"،وقال الفضيل: ((من جالس صاحب بدعة لم يعط الحكمة))[2].

وورد: من جلس مع ثمانية أصناف زاده الله ثمانية أشياء: من جلس مع الأمراء: زاده الله الكبر وقساوة القلب. ومن جلس مع الأغنياء: زاده الله

---

(١) تحفة الأحوذي: لأبي العلا مُحَمَّد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري: (ت١٣٥٣هـ) (٤٢/٧)، ومرقاة المفاتيح: لعلي بن سلطان مُحَمَّد القاري: (ت١٠١٤هـ)، (٢٢٤/٩).

(٢) شعب الإيمان: (٦٤/٧)، رقم: ٩٤٨٢، وتاريخ مدينة دمشق: (٣٩٨/٤٨).

الحرص في الدنيا وما فيها. ومن جلس مع الفقراء: زاده الله الرضا بما قسمه الله تعالى. ومن جلس مع الصبيان: زاده الله اللهو واللعب. ومن جلس مع النسك: زاده الله الجهل والشهوة. ومن جلس مع الصالحين: زاده الله الرغبة في الطاعة. ومن جلس مع العلماء: زاده الله العلم والورع. ومن جلس مع الفساق: زاده الله الذنب وتسويف التوبة[(١)].

وكما قال أكمل الرسل ـ ﷺ: «خياركم الذين إذا رؤوا، ذكر الله بهم»[(٢)]،

---

(١) البرهان المؤيد: للإمام الرباني السيد أحمد الرفاعي ـ قدس الله روحه: (ت٥٧٨هـ)، (ص١٠٩).

(٢) رواه الحكيم عن انس كما في "كنز العمال": لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي: (ت ٩٧٥هـ)، (١/٢١٤)

وعن أنس ـ ﵁، يقول: قالوا: يا رسول الله، أينا أفضل كي نتخذه جليسًا.

ليترقى من الإسلام إلى الإيمان، ومن الإيمان إلى الإيقان، ومن الإيقان إلى المعرفة، ومن المعرفة إلى المحبة، ومن المحبة إلى المحبوبية عند ذاته الأقدس، ومن المحبوبية إلى القرب والمشاهدة منه سبحانه: كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا

عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[1]. ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ أي: المنقادين لحكم الله تعالى قولاً وعملاً وحالاً، من الذكور والإناث ﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: المؤمنين الموحدين من الفريقين؛ والإيمان والتصديق بالقلب والاعتقاد مع الفعل بالأركان، "وهو مجمع الطاعات". ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ أي: العابدين والطائعين الخاضعين المتذللين في جميع الطاعات والعبادات، وجميع الحالات، والمداومة عليها ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ أي: الصادقين في إيمانهم، ونياتهم، وأقوالهم، وأعمالهم - في عهودهم وعقودهم ورعاية حدودهم. ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ أي: الصابرين على

---

(١) سورة الأحزاب.

الطاعات وعن الشهوات، وفي البأساء والضراء لجميع ما جرى عليهم من القضاء. ﴿وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ﴾ أي: المتواضعين المتضرعين لله ـ ﷻ، بقلوبهم وجوارحهم؛ قال بعضهم: الخشوع: انقياد الظاهر له سبحانه، والباطن للحق تعالى ﴿وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ بما عندهم مالاً ونفسًا، فرضًا ونفلاً، طلبًا لمرضات الله تعالى، وهرباً من سخطه ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ أي: الصائمين لوجه الله ـ عَزَّوَجَلَّ، شهر رمضان وغيره من الأيام، بل الممسكين نفوسهم مطلقاً عما لا يرضى عنه سبحانه وتعالى. ﴿وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ﴾ أي: عن المحارم، وجميع الآثام، وطلب التجاوز والتعدي على قدر الحاجة

في الحلال. فتنبه. ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ أي: باللسان والجنان والأركان، وفي جميع أحوالهم يجاهدون أن لا يغفلوا، ولا يَفْتُرُوا عمومًا. ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: للذين اتصفوا بهذه الصفات من الفريقين: لهم "جميل الحُسنى"، "وجزيل العُقبى" ـ "من المغفرة والجنة والرضوان".

قال العلاّمة فخر الدين الرازي في "تفسيره": قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ ذكر لهم ولهنَّ؛ عشر مراتب: "الأولى" الإسلام والانقياد لأمر الله؛ "والثانية" الإيمان بما يرد به أمر الله، فإن المكلف أولاً يقول كل ما يقوله أقبله فهذا إسلام، فإذا قال

الله شيئًا وقبله صدق مقالته وصحح اعتقاده فهو إيمان، ثم اعتقاده يدعوه إلى الفعل الحسن، والعمل الصالح، فيقنت ويعبد؛ وهو "المرتبة الثالثة" المذكورة بقوله: ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ ثم إذا آمن وعمل صالحًا كمل فيُكمل غيره، ويأمر بالمعروف، وينصح أخاه، فيصدق في كلامه عند النصيحة؛ وهو المراد بقوله: ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ ثم إنَّ من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يصيبه أذى فيصبر عليه؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ ثم إنه إذا كمل وكمل قد يفتخر بنفسه، ويعجب بعبادته، فمنعه منه بقوله: ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ أو نقول: لما ذكر هذه الحسنات أشار إلى ما يمنع منها وهو إما

حب الجاه، أو حب المال، من الأمور الخارجية أو الشهوة من الأمور الداخلة، والغضب منهما يكون لأنه؛ يكون بسبب نقص جاه، أو فوت مال، أو منع من أمرٍ مشتهى، فقوله: ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ أي: المتواضعين الذين لا يميلهم الجاه عن العبادة، ثم قال تعالى: ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ أي: الباذلين الأموال الذين لا يكنزونها لشدة محبتهم إياها، ثم قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ إشارة إلى الذين لا تمنعهم الشهوة البطنية من عبادة الله، ثم قال تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ أي الذين لا تمنعهم الشهوة الفرجية، ثم قال تعالى:

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ يعني هم في جميع هذه الأحوال يذكرون الله، ويكون إسلامهم وإيمانهم وقنوتهم وصدقهم وصبرهم وخشوعهم وصدقتهم وصومهم بنية صادقة لله، واعلم أن الله تعالى في أكثر المواضع حيث ذكر الذكر قرنه بالكثرة ههنا، وفي قوله بعد هذا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١﴾[1]، وقال من قبل: ﴿لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾[2]، لأن الإكثار من الأفعال البدنية غير ممكن أو عسر، فإن الإنسان أكله وشربه وتحصيل مأكوله ومشروبه يمنعه من أن يشتغل

(١) سورة الأحزاب.

(٢) سورة الأحزاب.

دائمًا بالصلاة، ولكن لا مانع له من أن يذكر الله تعالى وهو آكل، ويذكره وهو شارب، أو ماش، أو بائع، أو شار، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ١٩١﴾[1]، ولأن جميع الأعمال صحتها بذكر الله تعالى وهي النية، ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾؛ فإن المغفرة إزالة السيئات التي هي في الدنيا لازمة للنفس، والأجر العظيم، إشارة إلى الحياة التي هي بعد مفارقة الدنيا عن النفس، فيزيل الله عنه القبائح البهيمية، ويلبسه المحاسن الملكية[2].

(١) سورة آل عمران.

(٢) التفسير الكبير: (١٨٢/٢٥).

واعلم أيها القارئ الكريم: أن الشارع الحكيم جعل التوافق والتعانق بين الصيام والقيام في نصوص الشريعة الغراء؛ وها هي التالية ذكرا: -

روى الإمام أحمد وغيره، أن رسول الله ـ ﷺ، قال: «إِنَّ اللهَ فَرَضَ صِيَامَ رَمَضَانَ عَلَيْكُمْ، وَسَنَنْتُ لَكُمْ قِيَامَهُ، فَمَنْ صَامَهُ وَقَامَهُ إِيمَانا وَاحْتِسابا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[1]، وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ: «من صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ، وَمَنْ قام لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ»[2].

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٨).

(٢) سبق تخريجه في (ص٣٤).

وعن ابن عباس في حديث طويل قال ـ ﷺ، عن ربه قال ـ ذو الجلال: «أشهدكم يا ملائكتي أني جعلت ثوابهم من صيامهم شهر رمضان وقيامهم؛ رضائي ومغفرتي»[(١)]. وروى البخاري ومسلم: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه، قال كان رسول اللَّهِ ـ ﷺ، يُرَغِّبُ في قِيَامِ رَمَضَانَ من غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ فيه بِعَزِيمَةٍ فيقول: «من قام رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ»، فَتُوُفِّيَ رسول اللَّهِ ـ ﷺ ـ وَالأَمْرُ على ذلك ثُمَّ كان الأَمْرُ على ذلك في خِلافَةِ أبي بَكْرٍ وَصَدْرٍ من خِلافَةِ عُمَرَ على ذلك[(٢)].

(١) تاريخ مدينة دمشق: (٢٩٢/٥٢).

(٢) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح، رقم: ١٧٧٧.

وفي رواية الإمام أحمد عن عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ أَنَّهُ قال: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا عن لَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ فقال رسول اللَّهِ ـ ﷺ: «هي في رَمَضَانَ الْتَمِسُوهَا في الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ، فَإِنَّهَا وِتْرٌ في إِحْدَى وَعِشْرِينَ، أو ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ، أو خَمْسٍ وَعِشْرِينَ، أو سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، أو تِسْعٍ وَعِشْرِينَ، أو في آخِرِ لَيْلَةٍ؛ فَمَنْ قَامَهَا إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ»[1].

قوله: «وما تَأَخَّرَ»، مظنةً ورجاءً بالله ـ عَزَّ وَجَلَّ؛ فمن وافقته تلك الليلة فإنه سيكون على حسن الخواتم، إن شاء الله تعالى؛ وفضل الله واسع لهذه الأمة المرحومة؛ وهو اللطيفُ الواسعُ العليمُ ـ جل جلاله.

(١) مسند أحمد: (٤٠٨/١٦)، رقم: ٢٢٦٤٠، قال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾[1]

فقد أخبر الحق ـ تبارك وتعالى؛ أنه أنزل القرآن ليلة القدر، وهي الليلة المباركة؛ التي قال الله ـ عَزَّوَجَلَّ، عنها: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ٣﴾[2]، وهي ليلة القدر، وهي من شهر رمضان؛ لقوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ١٨٥﴾[3].

قال ابن عباس وغيره: أنزل الله القرآن جملةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مُفصلاً أو مُنَجَّماً بحسب

---

(١) سورة القدر.

(٢) سورة الدخان.

(٣) سورة البقرة.

الوقائع والمصالح في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ـ ﷺ[1].

وسُمِّيت ليلة القدر؛ لعظيم قدرها وشرفها؛ لأنها أُنزل فيها كتابٌ ذو قدْر، بواسطة مَلَك ذي قدْر، على رسولٍ ذي قدْر، لأمّة ذات قدْر، وللطاعات فيها قدْرٌ عظيمٌ، وثوابٌ جزيلٌ ـ من الله العلي العظيم؛ أو تقدير أمور السنة، وإظهارها للملائكة الأربعة: جبريل، وميكائيل، وعزرائيل، وإسرافيل ـ عليهم السلام، ليؤدوها بما أُمروا، وغير ذلك.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ ، أي أعلمك أيُّها النَّبيُّ الكريم، ﴿مَا﴾ عظم شأن ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ ،

(١) تفسير ابن كثير: (٤/٥٣٠).

وشرفها عجيب ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ فضلُها، ﴿خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾، وقيامها أفضل من عبادة ثلاث وثمانين سنة، وأربعة أشهر حق العبادة، والجهاد في سبيله تعالى؛ وهذه من خصائص هذه الأمة المرحومة ـ لقصر أعمارهم، وقلة أعمالهم، فأعطاهم الله ـ عز وجل، ليلة القدر؛ لرجاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم، لأمته في ذلك.﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بيان لما له فُضلت على ألف شهر، وتتنزل لهم إلى الأرض والسماء الدُّنيا، أو تقربهم إلى المؤمنين.

﴿وَٱلرُّوحُ﴾ "قال النسفي": أي: جبريل، أو خلق غير الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة؛ لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: «إذا كان ليلة القدر نزل

جبريل عليه السلام في كبكبة من الملائكة يصلون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله - عز وجل »[1].

﴿فِيهَا﴾ أي: في هذه الليلة من السماء إلى الأرض؛ "قال ابن كثير": (أي: يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيمًا له)[2]. ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ "قال الإمام النسفي": أي: تنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل[3]. ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾"قال

(١) شعب الإيمان: (٣/٣٤٣)، رقم: ٣٧١٧.

(٢) تفسير ابن كثير: (٤/٥٣٢).

(٣) تفسير النسفي: (٤/٣٥٠).

النسفي": أي: ما هي إلا سلامة .. أي: لا يقدّر الله فيها إلا السلامة والخير، ويقضي في غيرها بلاء وسلامة، أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلِّمون على المؤمنين، قيل: لا يلقون مؤمنًا ولا مؤمنة إلا سلموا عليه في تلك الليلة، وقد حُرم من السلام الذين كفروا. ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ أي: السلام فيها من الملائكة على المؤمنين إلى طلوع الفجر، فلا تمر بمؤمن ولا مؤمنة إلا سلمت عليه. والله أعلم[1].

"وسِرُّ خَفاء ليلة القدر":هو التزود من الطاعات؛ لأنها منازلُ قربٍ إلى المولى عَزَّوَجَلَّ، والأحوط في ذلك من باب اليقين في العبادة،

(١) تفسير النسفي: (٤/٣٥٠).

والعمل فيه أن نجتهد بالوقت، واليقين، والأفضل - "عزيمةً وقربا".

واختلف العلماء في تعيين ليلة القدر على نحو من أربعين قولاً، والصحيح أنها ليلةٌ منتقلةٌ في العشر الأواخر من كلّ رمضان؛ جمعًا بين الأحاديث الصحاح، وإعراضًا عما يخالفها، منها: قوله ـ ﷺ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ من رَمَضَانَ» . متفق عليه[1]، ومنها: قوله ـ ﷺ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ من الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ

(١) صحيح البخاري: كتاب فضل ليلة القدر . باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر، رقم: ٢٠٢٠، وصحيح مسلم: كتاب الصيام . باب فضل ليلة القدر، والحثّ على طلبها وبيان محلها وأرجى أوقات طلبها، رقم: ٢٧٦٨.

من رَمَضَانَ»[1]، ومنها: حديث أبي سعيد الخدري قال: قال لي رسول الله ـ ﷺ: «من كان اعْتَكَفَ مَعِي، فَلْيَعْتَكِفْ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ، وقد أُرِيتُ هذه اللَّيْلَةَ ثُمَّ أُنْسِيتُهَا، وقد رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ في مَاءٍ وَطِينٍ من صَبِيحَتِهَا، فَالْتَمِسُوهَا في الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ، وَالْتَمِسُوهَا في كل وِتْرٍ، فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وكان الْمَسْجِدُ على عَرِيشٍ[2]، فَوَكَفَ[3] الْمَسْجِدُ، فَبَصُرَتْ عَيْنَايَ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ، على جَبْهَتِهِ أَثَرُ الْمَاءِ وَالطِّينِ، من صُبْحِ إِحْدَى

---

(١) صحيح البخاري: كتاب صلاة التراويح . باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر، رقم: ٢٠١٧.

(٢) هو ما يستظل به من بيوت ونحوها.

(٣) أي: سال من سقفه المطر.

وَعِشْرِينَ»[1]، ومنها: حديث عبد اللَّهِ بن أُنَيْسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ، قال: «أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ أُنْسِيتُهَا، وَأَرَانِي صُبْحَهَا أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ، قال: فَمُطِرْنَا لَيْلَةَ ثَلاثٍ وَعِشْرِينَ، فَصَلَّى بِنَا رسول اللَّهِ ـ ﷺ، فَانْصَرَفَ وَإِنَّ أَثَرَ الْمَاءِ وَالطِّينِ على جَبْهَتِهِ وَأَنْفِهِ، قال: وكان عبد اللَّهِ بن أُنَيْسٍ، يقول: ثَلاثٍ وَعِشْرِينَ»[2]، ومنها: قوله ـ ﷺ: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ»[3]، لقوله ـ ﷺ: «أنزل الله

(١) صحيح البخاري: كتاب الاعتكاف ـ باب الاعتكاف في العشر الأواخر، رقم: ٢٠٢٧.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الصيام ـ فضل ليلة القدر ،والحث على طلبها، وبيان محلها، وأرجى أوقات طلبها، رقم: ٢٧٦٧.

(٣) المعجم الكبير: سليمان بن احمد الطبراني: (ت٣٦٠هـ)، (٣٦٠/١)،رقم: ١١٠٢، ومسند البزار: (٢١١/٤)، رقم: ١٣٧٦،=

صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأُنزلت التوراة على موسى لست خلون من رمضان، وأُنزل الزبور على داود في إحدى عشرة ليلة خلت من رمضان، وأُنزل القرآن على محمد ـ ﷺ ـ في أربع وعشرين خلت من رمضان»[1]. ومنها:

=ومسند الطيالسي: (١/٢٨٨)، رقم: ٢١٦٧، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، ينظر: والمسند: (١٧/١٦١و ١٦٢)، رقم: ٢٣٧٧٥.

(١) مسند أبي يعلي: (٤/١٣٦)، رقم: ٢١٩٠، وفي روايةٍ: "أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من شهر رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من شهر رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من شهر رمضان"، قال السيوطي في "الجامع الكبير": أخرجه أحمد (٤/١٠٧) ، رقم: ١٧٠٢٥، والطبراني: (٢٢/٧٥)، رقم: ١٨٥، والبيهقي في "شعب الإيمان": (٢/٤١٤)، رقم: ٢٢٤٨. وأخرجه أيضًا: الطبراني في "الأوسط" (٤/١١١)، رقم: ٣٧٤٠. قال الهيثمي (١/١٩٧): رواه أحمد، والطبراني في "الكبير"، و"الأوسط"،=

حديث عُبَادَة بن الصَّامِتِ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ عن لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فقال رسول اللَّهِ ـ ﷺ: «في رَمَضَانَ، فَالْتَمِسُوهَا في الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ، فَإِنَّهَا في وِتْرٍ في إِحْدَى وَعِشْرِينَ، أو ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ، أو خَمْسٍ وَعِشْرِينَ، أو سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، أو تِسْعٍ وَعِشْرِينَ، أو في آخِرِ لَيْلَةٍ؛ فَمَنْ قَامَهَا ابْتِغَاءَهَا إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً، ثُمَّ وُفِّقَتْ له غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ»[1]، ومنها: قوله ـ ﷺ: «من كان مُتَحَرِّيَهَا فَلْيَتَحَرَّهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ»، وقال:

=وفيه عمران بن داود القطان ضعفه يحيى ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقية رجاله ثقات.

(١) مسند أحمد: (١٦/ ٣٩٩ و ٤٠٠)، رقم: ٢٢٦١٢، قال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

«تَحَرَّوْهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ»، يعني لَيْلَةَ الْقَدْرِ [1]، ومنها: قوله ـ ﷺ: «الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ من تِسْعٍ يَبْقَيْنَ أو سَبْعٍ يَبْقَيْنَ أو خَمْسٍ يَبْقَيْنَ أو ثَلاثٍ يَبْقَيْنَ أو آخِرِ لَيْلَةٍ» [2]، ولقوله ـ ﷺ: «أُعْطِيَتْ أمتي خَمْسَ خِصَالٍ في رَمَضَانَ، لم تعطاها أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ: خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ من رِيحِ الْمِسْكِ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ حتى يُفْطِرُوا، وَيُزَيِّنُ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ، كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ، ثُمَّ يقول: يُوشِكُ عبادي الصَّالِحُونَ أن يُلْقُوا عَنْهُمُ المؤنة وَالأَذَى

---

(١) مسند أحمد: (٤/٤٠٨)، رقم: ٤٨٠٨، قال أحمد مُحَمَّد شاكر: إسناده صحيح، وهو في "مجمع الزوائد": (٣/١٧٦)، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) مسند أحمد: (١٥/٢٠٥)، رقم: ٢٠٢٨٣، وسنن الترمذي: الصوم ـ ما جاء في ليلة القدر، رقم: ٧٩٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وَيَصِيرُوا إِلَيْكِ، ويصفد فيه مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، فَلاَ يَخْلُصُوا إلى ما كَانُوا يَخْلُصُونَ إليه في غَيْرِهِ، وَيُغْفَرُ لهم في آخِرِ لَيْلَةٍ»، قِيلَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، أهي لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟ قال: «لاَ، وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إنما يُوَفَّى أَجْرَهُ إذا قَضَى عَمَلَهُ»[1].

ـ ويظهر من هذه الأحاديث وغيرها؛ أن ليلة القدر تكون في العشر الأواخر من رمضان؛ فتارةً تكون ليلة الحادي والعشرين، وتارةً تكون ليلة الثالث والعشرين، وتارةً ليلة الرابع والعشرين، وتارةً ليلة الخامس والعشرين؛ وتارةً ليلة السابع والعشرين؛ وفي روايات عديدة، أو بالعلامة فيما ذُكر، وتارةً ليلة التاسع والعشرين، أو آخر ليلة،

---

(١) مسند أحمد: (٣١/٨)، رقم: ٧٩٠٤.

وهي: "الثلاثين"؛ فلا تعارض في الأحاديث على هذا التأويل. والله تعالى أعلم.

وعند القوم ﷺ أهل العمل الروحي الإسلامي رأيٌ مبارك:إنها تتغير بتغيير أول يوم من صيام الشهر المبارك وقد أكدوا على ذلك، فقالوا:-

وإن جميعاً إن نصم يوم جمعة ... في "تاسع العشرين" خذ ليلة القدر
وإن كان يوم السبت أول صومنا ... "فحادي وعشرين" اعتمده بلا عذر
وإن هلّ يوم الصوم في أحد فقلْ ... في "سابع العشرين" ما رمت فاستقر
وإن هلّ بالاثنين فاعلم بأنه ... يوافيك نيل الوصل في"تاسع العشر"
ويوم الثلاثا إن بدا الشهر فاعتمد ... على"خامس العشرين" تحظى بها فادر
في الأربعا إن هلّ يا من يريدها ... فدونك فاطلب وصلها "سابع العشر"
ويوم الخميس إن بدا الشهر فاجتهد ... توافيك بعد "العشر" في ليلة الوتر

أما قولهم: في "تاسع العشر": فهي مروية عن عليٍّ وابن مسعود ـ رضي الله عنهما[1].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: (٤/٥٣٢).

وأما قولهم: "سابع العشر": لما روى أبو داود حديثًا مرفوعًا عن ابن مسعود، وغيره موقوفًا، أنها ليلة بدر، وكانت ليلة جمعة، وهو اليوم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ ۝٤١﴾[1].

"فيكون العمل بما جاء من دلالات وترجيح عند السلف والخلف تشبثًا بأحوط العمل ـ بليالي العشر الأواخر، أو أواترها، ثم التشبث بقاعدة "أهل العمل الروحي الإسلامي" كما أسلفنا في الأبيات المباركة؛ والجمع في ذلك هو الأحوط والأقرب إلى الله ـ عز وجل ـ ففي ذلك فلاحك وترقيك إلى جنّة ربك ورضاه ـ جلَّ جلالُهُ وعمَّ نوالُهُ".

---

(١) سورة الأنفال. ينظر: المصدر السابق.

واعلم يا أخي: أن أجر العبادات يتضاعف في شهر رمضان: لما روى سلمان الفارسي ـ ﵁، قال: خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ في آخر يوم من شعبان فقال: «يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوّعًا، من تقرب فيه بخصلة من الخير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزداد فيه رزق المؤمن، من فطَّر فيه صائماً، كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء»، قالوا: ليس كلنا نجد ما يفطر الصائم، فقال رسول الله ـ ﷺ:

«يعطي الله هذا الثواب من فطر صائمًا على تمرة، أو شَرْبة ماء، أو مَذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه غفر الله له واعتقه من النار، واستكثروا فيًه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما: فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن أشبع فيه صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة»[1].

---

(١) صحيح ابن خزيمة: لأبي بكر مُحَّد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري:- (ت٣١١هـ)، (٣/١٩١)، رقم: ١٨٨٧، وقال: صح الخبر.

"ومن العبادة الجليلة فيه"، قيام رمضان؛ وهو: "التراويح" وهي: فضيلة عظيمة، لكن ذلك الفضل، وكمال الثواب يحصل بالتراويح عشرين ركعة؛ لما قاله أهل القرون الثلاثة ﵃.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، فَرَأَى بَعْضُهُمْ: أَنْ يُصَلِّيَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ رَكْعَةً مع الْوِتْرِ، وهو: قَوْلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَالْعَمَلُ على هذا عِنْدَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ، على ما رُوِيَ عن عُمَرَ، وَعَلِيٍّ، وَغَيْرِهِمَا، من أَصْحَابِ النبيّ - ﷺ - عِشْرِينَ رَكْعَةً، وهو قَوْلُ الثَّوْرِيِّ، وابن الْمُبَارَكِ، وَالشَّافِعِيِّ؛ وقال الشَّافِعِيُّ: وَهَكَذَا أَدْرَكْتُ بِبَلَدِنَا بِمَكَّةَ يُصَلُّونَ عِشْرِينَ رَكْعَةً. وقال

أَحْمَدُ: رُوِيَ في هذا أَلْوَانٌ ولم يُقْضَ فيه بِشَيْءٍ[1].

وقال إسحاق: بَلْ نَخْتَارُ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ رَكْعَةً على ما رُوِيَ عن أُبَيٍّ بنِ كَعْبٍ، وَاخْتَارَ ابن الْمُبَارَكِ، وَأَحْمَدُ، وإسحاق، الصَّلاةَ مع الإِمَامِ في شَهْرِ رَمَضَانَ، وَاخْتَارَ الشَّافِعِيُّ أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ

---

(١) قال السادة الحنابلة؛ في شرح "زاد المستقنع" (ص٦٩/٧٠) ما يأتي نصه:-

"والتراويح سنة مؤكدة ... عشرون ركعة"؛ لما روى أبو بكر عبد العزيز في "الشافي" عن ابن عباس أن النبي ـ ﷺ، كان يصلي في شهر رمضان عشرين ركعة تفعل ركعتين ركعتين في جماعة مع الوتر بالمسجد أول الليل بعد العشاء في رمضان؛ لما روي في الصحيحين من حديث عائشة أنه ـ ﷺ، صلاها ليالي فصلوها معه ثم تأخر فصلى في بيته باقي الشهر وقال: "إني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها" وفي البخاري أن عمر جمع الناس على أبيّ ابن كعب فصلى بهم التراويح. وروى أحمد وصححه الترمذي: "من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة".

وَحْدَهُ، إذا كان قَارِئًا. وفي الْبَاب: عن عَائِشَةَ، وَالنُّعْمَانِ بن بَشِيرٍ، وابن عَبَّاسٍ. اهـ[1].

قال الشيخ ابن تيمية: إن نفس قيام رمضان لم يؤقت النَّبيُّ ـ ﷺ، فيه عددًا معينًا، بل كان هو ـ ﷺ، "لا يزيد في رمضان ولا غيره على ثلاث عشرة ركعة"، لكن كان يُطيل الركعات، "فلما جمعهم عمر على أُبي بن كعب كان يصلي بهم عشرين ركعة ثم يوتر بثلاث"[2]، وكان يخفف القراءة بقدر ما زاد من الركعات؛ لأن ذلك أخف

(١) سنن الترمذي: كتاب الصوم ـ باب ما جاء في قيام رمضان، رقم: ٨٠٦.

(٢) قلتُ عن بعض مشايخنا: كان اجتماع الصحابة على ثلاث وعشرين ركعة اجتهاداً من عمر ﷺ لأن رسول الله ﷺ فُرض عليه التهجد ثماني ركعات مع الوتر، ثم صلى في يومين أو ثلاثة التراويح في رمضان بالمسجد بالعدد نفسه، فكانت صلاته في تلك الليالي عشرون ركعة مع الوتر. واجتمع الصحابة على ذلك، وهذا هو الجمع بين روايات الثماني، وروايات العشرين. والله أعلم.

على المأمومين من تطويل الركعة الواحدة؛ ثم كان طائفة من السلف يقومون بأربعين ركعة ويوترون بثلاث، وآخرون قاموا بست وثلاثين وأوتروا بثلاث، وهذا كله سائغ فكيفما قام بهم في رمضان من هذه الوجوه فقد أحسن، والأفضل يختلف باختلاف أحوال المصلين؛ فإن كان فيهم احتمال لطول القيام فالقيام بعشر ركعات وثلاث بعدها، كما كان النَّبيُّ ـ ﷺ، يصلي لنفسه في رمضان وغيره هو الأفضل، وإن كانوا لا يحتملونه فالقيام بعشرين هو الأفضل، وهو الذي يعمل به أكثر المسلمين؛ فإنه وسط بين العشر وبين الأربعين، وإن قام بأربعين وغيرها جاز ذلك، ولا يكره شيء من ذلك؛ وقد نَصَّ على ذلك غير واحد من الأئمة كأحمد وغيره، ومن ظنَّ أن قيام

رمضان فيه عدَدٌ مؤقت عن النَّبيِّ ـ ﷺ ـ لا يُزادُ فيه ولا ينقص منه فقد أخطأ، فإذا كانت هذه السعة في نفس عدد القيام، فكيف الظن بزيادة القيام لأجل دعاء القنوت أو تركه، كل ذلك سائغ حسن، وقد ينشط الرجل فيكون الأفضل في حقه تطويل العبادة، وقد لا ينشط فيكون الأفضل في حقه تخفيفها، وكانت صلاة رسول الله ـ ﷺ ـ معتدلة: إذا أطال القيام أطال الركوع والسجود، وإذا خفف القيام خفف الركوع والسجود، هكذا كان يفعل في المكتوبات، وقيام الليل، وصلاة الكسوف وغير ذلك، وقد تنازع الناس هل الأفضل طول القيام، أم كثرة الركوع والسجود، أو كليهما سواء؟؛ على ثلاثة أقوال: أصحها أن كليهما سواء، فإن القيام اختص

بالقراءة وهي أفضل من الذكر والدعاء، والسجود نفسه أفضل من القيام، فينبغي أنه إذا طول القيام أن يطيل الركوع والسجود؛ وهذا هو طول القنوت الذي أجاب به النَّبيُّ - ﷺ - لما قيل له أي الصلاة أفضل؟ فقال: «طول القنوت» [1] فإن القنوت هو إدامة العبادة سواء كان في حال القيام أو الركوع أو السجود؛ كما قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا ۝٩ ﴾[2]، ألزم الجواب

---

(١) صحيح مسلم: صلاة المسافرين وقصرها . باب أفضل الصلاة طول القنوت، رقم:- ١٧٦٦، ومسند أحمد: (٣: ٣٠٢ و ٣١٤ و ٣٩١)، وسنن الترمذي: كتاب الصلاة . ما جاء في طول القيام في الصلاة، رقم: ٣٨٧، وسنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها . باب ما جاء في طول القيام في الصلاة، رقم: ١٤٢١.

(٢) سورة الزمر.

فسماه قانتًا في حال سجوده، كما سماه قانتًا في حال قيامه[1].

وقال شيخي وأستاذي مولانا؛ مصطفى كمال الدين الهرشمي ـ طيب الله روحه وذكره وثراه: كما نعلم أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وأن الحديث يفسر القرآن، فلنعلم أيضًا ـ أن الحديث يفسر بعضه بعضاً، فخير فهم للحديث ما يعتضد بحديث أو أحاديث، وإذا علمنا أن الحديث يفسر بعضه بعضاً، فإذا ورد في متن حديث لفظ يحتمل معنيين كلاهما من عام اللغة أو أحدهما منه، والآخر من خاص الاصطلاح، ووجد في حديث آخر ما يرجح أحد المعنيين، فهذا اللفظ ينبغي أن

(١) الفتاوى: لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني: (ت٧٢٨هـ)، (٤٧٩/٢، ٤٨٠).

يفهم في ذلك الحديث بالمعنى المفسر في الحديث الآخر. "هذه قاعدة من حقائق أصول الفقه، وعلوم الحديث"، وقد أفضت الغفلة عنها بالغافلين قديماً وحديثاً إلى زعم التعارض بين أحاديث نبوية غير متعارضة في الواقع ونفس الأمر. هذا فيما يحتمل أن ينشأ فيه زعم تعارض.

والسير على هذه القاعدة، يترجح عندي في المواضع أيضاً التي ينعدم فيها احتمال التعارض؛ ومثاله حديثان شريفان، سئلت في وجه فهمهما؛ فقد روي عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «أَقْرَبُ ما يَكُونُ الْعَبْدُ من رَبِّهِ وهو سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[1]، وروي عنه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ

(١) صحيح مسلم: كتاب الصلاة . باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم: ١٠٨٣، وسنن أبي داود: كتاب الصلاة . باب في الدعاء في=

أنه قال: «أَفْضَلُ الصَّلاةِ طُولُ الْقُنُوتِ»[1]، وليس هنا احتمال لتعارض سواء فهم من القنوت معناه اللغوي، وهو: "الخضوع التام" أم معناه الاصطلاحي الشرعي وهو:"الدعاء"، كالذي بعد القيام من الركوع في الركعة الثانية من صلاة الفجر عند الشافعيين، فعلى المعنى الاصطلاحي؛ يحبذ الحديث الشريف إطالة القنوت في الصلوات التي يقنت فيها، وليس في هذا مجال لظن التعارض مع الحديث الأول المبين فضل

=الركوع والسجود، رقم: ٨٧٥، وسنن النسائي: كتاب التطبيق ـ باب أقرب ما يكون العبد من الله عزَّ وجل، رقم:– ١١٣٧، ومسند أحمد، رقم: ٩٤١٥.

(١) صحيح مسلم: صلاة المسافرين وقصرها ـ باب أفضل الصلاة طول القنوت، رقم:– ١٧٦٥.

السجود في الصلوات إذ يكون العبد أقرب ما يكون من ربه.

أما القاعدة المذكورة فترجح عندنا المعنى اللغوي للفظة القنوت في ثاني الحديثين، بدلالة إرشاد من الحديث الأول، فإن أصل الصلاة، هو: العبادة والخضوع التام لله رب العالمين، وإن الخضوع والإتيان به عملاً ثلاث درجات تجمعها الصلاة؛ ينتقل من أدناها وهو الوقوف بين يدي الله تعالى وتقدس، إلى أوسطها وهو الركوع، فإلى أعلاها وهو السجود، وكلما ازداد العبد خضوعًا لربه أزداد قبولاً من لدنه وقربا؛ يرشدنا إلى ذلك نص الحديث الأول بلفظي "الأقرب" و"من"، فمادة القرب إذا عديت "بإلى"؛ فالقرب مادي، وإذا عديت "بمن"؛ فالقرب معنوي، والقرب

المعنوي هنا هو: رضا الرّب وقبوله: خضوع العبد وعبادته، فحيثما يكون العبد أقرب ما يكون فهو هنالك أخضع ما يكون، فالسجود بنص هذا الحديث هو أتم أعمال القنوت، أي: "الخضوع في الصلاة"، وكفى بذلك إرشاداً إلى أن القنوت في النص الثاني: «أَفْضَلُ الصَّلاةِ طُولُ الْقُنُوتِ»، أريد به المعنى اللغوي أي: "الخضوع التام"، فأفضل الصلاة ما طال فيها القنوت في جميع أعمال القنوت؛ ومراحلها من أدناها إلى أعلاها وفق ما عمله الرسول ـ ﷺ ـ لا الصلاة التي تقصر فيه أعمال القنوت كل عن حده، فافهمنا الحديثان الشريفان: أن خير الصلاة هي التي تؤدى كاملة في خشوع وطمأنينة، وأن السجود من أعمالها هو

أعلى موطن القنوت، وكذلك الحديث يفسر بعضه بعضًا[1].

- "وتحقيق المسألة": يمتاز شهر رمضان المبارك بمزايا جمة، فمنها قيام لياليه المعبر عنه بالتراويح، فهي ركعات تقام بعد صلاة العشاء في ليالي رمضان، فأجمعت الأمة على سُنيتها، ولم يختلف فيها أحد ممن يعتد بخلافه، ولكن اختلفوا في عدد ركعاتها ويشتد الخلاف حيناً بعد حين، فجماعة تصلّي ثماني ركعات وأخرى عشرين، وأصحاب الثمانية ينكرون على أصحاب العشرين بأن ما زاد على الثمانية بدعةٌ لا أصل لها في الشرع.

(١) النجم الزاهر: لنكتل يونس كشمولة، (ص٨٩ و ٩٠).

فإليك أيها القارئ الكريم: آراء العلماء الأعلام مع أدلتهم حول ماهية المشروع من ركعات التراويح.

ـ اعلم: أن أول من صلّى التراويح في جماعة إمام المتقين، ومقتدى الصالحين، وقرة عين المصلين محمد رسول الله ﷺ؛ روى الإمام البخاري في "صحيحه" بسنده عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ خَرَجَ لَيْلَةً من جَوْفِ اللَّيْلِ، فَصَلَّى في الْمَسْجِدِ، وَصَلَّى رِجَالٌ بِصَلاتِهِ، فَأَصْبَحَ الناس فَتَحَدَّثُوا، فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ منهم فَصَلَّى فَصَلَّوْا معه، فَأَصْبَحَ الناس فَتَحَدَّثُوا، فَكَثُرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ من اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، فَخَرَجَ رسول اللَّهِ ـ ﷺ، فَصَلَّى فَصَلَّوْا بِصَلاتِهِ، فلما كانت اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ عَجَزَ الْمَسْجِدُ عن أَهْلِهِ، حتى خَرَجَ لِصَلاةِ الصُّبْحِ،

فَلَمَّا قَضَى الْفَجْرَ أَقْبَلَ على الناس، فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قال: "أَمَّا بَعْدُ، فإنه لم يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ، وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تفرض عَلَيْكُمْ فَتَعْجِزُوا عنها" فَتُوُفِّيَ رسول اللَّه ـ ﷺ، وَالأَمْرُ على ذلك»[1]. أي على ترك الجماعة في التراويح ثُمَّ كَانَ الأَمْرُ عَلَى ذلكَ في خَلاَفَةِ أبي بَكْرٍ وَصَدْرٍ مِنْ خَلاَفَةِ عُمَرَ.

فرسول الله ـ ﷺ، لم يصلِّ التراويح إلاّ في ثلاث لياليَ، وهي ليلة ثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين من رمضان، بحسب الرواية التي مضت وغيرها من الروايات الكثيرة، وهدانا الرسول الأعظم ـ ﷺ، إلى علة ترك الجماعة في التراويح بقية الليالي، وهي مخافة

(١) صحيح البخاري: كتاب صلاة التراويح . باب فضل ليلة القدر، رقم: ٢٠١٢.

الوجوب على الأُمة لو واظب عليها، فبعد وفاته ـ ﷺ، لم تبقَ تلك العلة ومعلوم من قواعد الأُصول: (أن مدار الحكم مع العلة وجودًا وعدمًا)[1]، فلهذا ندب الفاروق عمر بن الخطَّاب ـ رضي الله عنه، إلى إقامة الجماعة للتراويح جميع ليالي رمضان، وأجمعت الأُمة الإسلامية منذ ذلك العصر إلى عصرنا الحاضر على ما نشاهدها في ذلك.

ففي البخاري عن عبد الرحمن بن عَبْدٍ القاريء، أَنَّهُ قال: «خَرَجْتُ مع عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رضي الله عنه، لَيْلَةً في رَمَضَانَ إلى الْمَسْجِدِ، فإذا الناس أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ، يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلاتِهِ الرَّهْطُ، فقال عُمَرُ: إني أَرَى لو جَمَعْتُ هَؤُلاءِ على قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ

(١) شرح جمع الجوامع: (٢/٢٨٨).

أَمْثَلَ، ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ على أُبَيِّ بن كَعْبٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ معه لَيْلَةً أُخْرَى وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاةِ قَارِئِهِمْ، قال عُمَرُ: نِعْمَ الْبِدْعَةُ هذه»[1].

فثبتت بهذه الأدلة سنية أصل التراويح والجماعة فيها، وبقى علينا بيان كيفية أدائها من حيث عدد ركعاتها، فنقول: اختلف الفقهاء في عدد ركعات التراويح قديمًا وحديثًا فالإمام مالك يروي في موطئه: عَنِ السَّائِبِ بن يَزِيدَ أَنَّهُ قال: «أَمَرَ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ أُبَيَّ بن كَعْبٍ وَتَمِيمًا الدَّارِيَّ أَنْ يَقُومَا لِلنَّاسِ بِإِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، قال: وقد كان الْقَارِئُ يَقْرَأُ بِالْمِئِينَ، حتى كنا نَعْتَمِدُ على العصي من طُولِ الْقِيَامِ، وما كنا نَنْصَرِفُ إِلاَّ

(١) صحيح البخاري: كتاب صلاة التراويح ـ باب فضل من قام رمضان، رقم: ٢٠١٠.

فِي فُرُوعِ الْفَجْرِ»[1]. فلهذه الرواية اختار مالك لنفسه إحدى عشرة ركعة، ثمانية لقيام رمضان وثلاثة للوتر، وفي رواية أخرى للإمام مالك: عن يَزِيدَ بن رُومَانَ أَنَّهُ قال: «كان الناس يَقُومُونَ فِي زَمَانِ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ فِي رَمَضَانَ بِثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ رَكْعَةً»[2]. وبما رواه ابن خزيمة وابن حِبّان من حديث جابر: «صلّى بنا رسول الله ﷺ في رمضان ثماني ركعات ثم أوتر».

ـ وبما رواه البخاري عن أبي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن: أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ كَيْفَ كانت صَلَاةُ رسول اللَّهِ ﷺ في رَمَضَانَ؟ فقالت: «ما كان يَزِيدُ

(١) موطأ مالك: للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي: (ت١٧٩هـ)، كتاب النداء للصلاة ـ باب ما جاء في قيام رمضان، رقم: ٢٣٢.

(٢) موطأ مالك: كتاب النداء للصلاة ـ باب ما جاء في قيام رمضان، رقم: ٢٣٣.

فِي رَمَضَانَ ولا فِي غَيْرِهِ على إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعًا، فلا تَسَلْ عن حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فلا تَسَلْ عن حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاثًا، فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَنَامُ قبل أَنْ تُوتِرَ؟ قال: يا عَائِشَةُ، إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ ولا يَنَامُ قَلْبِي»[1].

وأما أدلة المثبتين للعشرين ركعة فهي ما يأتي: قال الإمام الترمذي: (وأكثر أهل العلم على ما روي عن علي وعمر وغيرهما من أصحاب النَّبِيِّ ـ ﷺ، عشرين ركعة، وهو قول سفيان الثوري وابن المبارك والشافعي، وقال الشافعي:

(١) صحيح البخاري: كتاب صلاة التراويح ـ باب فضل من قام رمضان، رقم: ٢٠١٣.

وهكذا ببلدنا بمكة يصلون عشرين ركعة[1].

وفي "تحفة الأحوذي": (أخرج البيهقي في "سننه" وابن أبي شيبة عن أبي الحسناء؛ أن عَليَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ـ رضي الله عنه، أَمَرَ رَجُلاً أَنْ يُصَلِّيَ بالنَّاسِ خَمْسَ تَروْيحَاتٍ عِشْرِينَ رَكْعَةً)[2]، وأخرج أبو بكر بن شيبة في "مصنفه" عن عبد العزيز بن رُفَيْع قال: (كان أُبَيُّ بن كَعْبٍ: يُصَلِّي بِالنَّاسِ في رَمَضَانَ بِالْمَدِينَةِ عِشْرِينَ رَكْعَةً، وَيُوتِرُ بِثَلاثٍ)[3]. وروى ابن أبي شيبة في "مصنفه" والطبراني وعنه البيهقي بسندهم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يُصَلِّي فِي رَمَضَانَ عِشْرِينَ رَكْعَةً سِوَى

---

(١) سبق تخريجه (ص٩٨).

(٢) تحفة الأحوذي: (٣/٦١٢).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: لأبي بكر عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي شيبة الكوفي: (ت٢٣٥هـ)، (٢/١٦٣)، رقم: ٧٦٨٤.

الْوَتْرِ»[1]، وبما روى البيهقي في "سننه" عن السائب بن يزيد قال: «كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه، في شهر رمضان بعشرين ركعة، قال: وكانوا يقرؤون بالمئين وكانوا يتوكؤن على عصيهم في عهد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه، من شدة القيام»[2]، قال النووي في "الخلاصة": إسناده صحيح.

قال الإمام النووي في "أذكاره": اعلم أن صلاة التراويح سنة باتفاق العلماء، وهي عشرون

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: (٢/١٦٤)، رقم: ٧٦٩٢؛ والمعجم الأوسط: (١/٢٤٣)، رقم: ٧٩٨.

(٢) سنن البيهقي الكبرى: (٢/٤٩٦)، رقم: ٤٣٩٣.

ركعة يسلم من كل ركعتين، وصفة نفس الصلاة كصفة باقي الصلوات[1].

قال في "العناية شرح الهداية" من معتمد كتب الحنفية: روي أَنَّهُ ـ ﷺ، «خَرَجَ لَيْلَةً مِنْ لَيَالِي رَمَضَانَ وَصَلَّى عِشْرِينَ رَكْعَةً، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةُ اجْتَمَعَ النَّاسُ فَخَرَجَ وَصَلَّى بِهِمْ عِشْرِينَ رَكْعَةً، فَلَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الثَّالِثَةُ كَثُرَ النَّاسُ، فَلَمْ يَخْرُجْ ـ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَقَالَ: عَرَفْت اجْتِمَاعَكُمْ لَكِنِّي خَشِيت أَنْ تُكْتَبَ عَلَيْكُمْ»، فَكَانَ النَّاسُ يُصَلُّونَهَا فُرَادَى إلَى زَمَنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنه، فَقَالَ عُمَرُ: (إنِّي أَرَى أَنْ أَجْمَعَ النَّاسَ عَلَى إمَامٍ وَاحِدٍ،

---

(١) الأذكار: لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مرّي النووي: (ت٦٧٦هـ)، (ص١٦٤).

فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَصَلَّى بِهِمْ خَمْسَ تَرْوِيحَاتٍ عِشْرِينَ رَكْعَةً)[1].

أما ابن قدامة المقدسي الحنبلي، فقد قال في كتابه القيم "المغني": (والمختار عند أبي عبد الله "يريد به الإمام أحمد صاحب المذهب المعروف" فيها"أي في ركعات التراويح" عشرون ركعة، وبهذا قال الثوري وأبو حنيفة والشافعي، وقال مالك: ستة وثلاثون، وزعم أنه الأمر القديم وتعلق بفعل أهل المدينة، فإن صالحًا مولى التوأمة قال: أدركت الناس يقومون بإحدى وأربعين ركعة يوترون منها بخمس، ولنا إن عمر ـ رضي الله عنه، لما جمع الناس على أبي بن كعب، كان يصلي بهم

(١) العناية بشرح الهداية: لمحمد بن محمود البابرتي: (ت٧٨٦هـ)، (٢/٢٣٥).

عشرين ركعة، وروى مالك عن يزيد بن رومان قال: كان الناس يقومون في زمن عمر في رمضان بثلاث وعشرين ركعة، وعن علي ـ رضي الله عنه، أنه أمر رجلا يصلي بهم في رمضان عشرين ركعة وهذا كالإجماع، فأما ما رواه صالح فإن صالحاً ضعيف ثم لا ندري من الناس الذين أخبر عنهم؟ فلعله قد أدرك جماعة من الناس يفعلون ذلك وليس ذلك بحجة، ثم لو ثبت أن أهل المدينة كلهم فعلوه لكان ما فعله عمر وأجمع عليه الصحابة في عصره أولى بالاتباع)[1].

قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: وَهِيَ عِشْرُونَ رَكْعَةً بِعَشْرِ تَسْلِيمَاتٍ في كل لَيْلَةٍ من

---

(١) المغني: لأبي مُحَمَّد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي: (ت٦٢٠هـ)، (٤٥٦/١).

رَمَضَانَ لما رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ: (أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُومُونَ على عَهْدِ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ ـ ﵁، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بِعِشْرِينَ رَكْعَةً وَرَوَى مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأِ بِثَلاثٍ وَعِشْرِينَ، وَجَمَعَ الْبَيْهَقِيّ بَيْنَهُمَا بِأَنَّهُمْ كَانُوا يُوتِرُونَ بِثَلاثٍ)[1].

"أي أخي" اعلم أن فوائد التراويح وإيقاعها بعشرين ركعة والحكمة في ذلك:-

١ـ مغفرة الذنوب؛ لقوله ـ ﷺ: «وَمَنْ قام لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ»[2].

٢ـ اجتماع المسلم بالمسلم في بقعة واحدة أمر تحض عليه مقاصد الشريعة السبعة.

---

(١) أسنى المطالب شرح روض الطالب: لأبي يحيى زكريا الأنصاري: (ت٩٢٨هـ)، (١/٢٠٠، ٢٠١).

(٢) سبق تخريجه في (ص٣٤).

٣ـ تحصل بها فضيلة القيام في أول الليل وآخره.

٤ـ يحصل للمسلم من العشرين ركعة معنى القيام المذكور في الحديث، أما من قلل من العشرين يفوته كامل الثواب.

٥ـ الأدب في اتباع الخلفاء الراشدين في عملهم هذا، المأمورون به، بقوله ـ ﷺ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عليها بِالنَّوَاجِذِ»[1].

قال الحليمي وابن علان والزين العراقي: الرواتب في غير رمضان عشرة تناسب أن تكون

---

(١) سنن أبي داود: كتاب السنة . باب في لزوم السنة، رقم: ٤٦٠٧، وسنن الترمذي: كتاب العلم . باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم: ٢٦٧٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

عشرين فيه والوتر ثلاث؛ وذلك لما ورد: «أن الفريضة في رمضان بسبعين فريضة فيما سواه، والنافلة فيه بفريضة»[1]. اللَّهُمَّ؛ وفقنا للاتباع، ونعوذ بك من الابتداع، اللَّهُمَّ؛ نسألك العلم والخشية، والطاعة والأدب؛ برحمتك يا أرحم الراحمين، آمين.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ .

ـ ومِنْ عَظيم العبادةِ أيضاً في رمضانَ: "قِراءةُ القرآن المجيدِ": لقوله ـ ﷺ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يوم الْقِيَامَةِ، يقول الصِّيَامُ: أي رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ،

(١) سبق تخريجه في (ص٩٦).

فشفعني فيه، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فشفعني فيه»، قال: «فَيُشَفَّعَانِ»[1]، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾[2]، ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾، أي: القرآنُ وَحُجَجُهُ فهو أعظمُ الذكر[3]؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ

---

(١) مسند أحمد: (١٨٨/٦)، رقم: ٦٦٢٦، قال أحمد مُحَمَّد شاكر: إسناده صحيح، ونقله ابن كثير في "فضائل القرآن": (ص٩٣)، عن هذا الموضع، وهو في "مجمع الزوائد": (١٨١/٣)، وقال: رواه أحمد والطبراني في "الكبير"، ورجال الطبراني رجال الصحيح، ورواه الحاكم في "المستدرك" (٥٥٤/١)، من طريق ابن وهب عن حيي بن عبد الله بهذا الإسناد، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه. ووافقه الذهبي.

(٢) سورة الفرقان.

(٣) انظر: كتابنا المسمى: "الرسالة والخاتمية والوارثية"، عن تحقيق الذكر؛ (ص ١٤٧).

﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾[١].

روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَجُلاً جَاءَهُ فَقَالَ: أَوْصِنِي، فَقَالَ: سَأَلْتَ عَمَّا سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَبْلِكَ: «أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الإِسْلامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ، وَتِلاوَةِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ، وَذِكْرُكَ فِي الأَرْضِ»[٢].

---

(١) سورة فاطر.

(٢) مسند أحمد: (١٠/٢٥٨)، رقم: ١١٧١٣، قال: حمزة أحمد الزين: إسناده حسن، والحديث أورده الهيثمي: (٤/٢١٥)، وعزاه لأحمد وأبي يعلى، وقال: رجال أحمد ثقات.

وروى الترمذي عن ابن عَبَّاسٍ، قال: قال رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إلى اللَّهِ؟ قال: «الْحَالُّ الْمُرْتَحِلُ» قال: وما الْحَالُّ الْمُرْتَحِلُ؟ قال: «الذي يَضْرِبُ من أَوَّلِ الْقُرْآنِ إلى آخِرِهِ كُلَّمَا حَلَّ ارْتَحَلَ»[1]، أي: يبدأ بتلاوة القرآن إلى آخره كلما ختم ختمة أخذ بغيرها، وأهل القرآن هم أولياء الله وأحبابه؛ فعن أَنَسِ بن مَالِكٍ قال: قال رسول اللَّهِ ـ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ من الناس» قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، من هُـمْ؟

(١) سنن الترمذي: كتاب القراءات . باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، رقم: ٢٩٤٨، وقال: هذا حديث غريب، وسنن الدارمي: لأبي عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: (ت٢٥٥هـ)، كتاب فضائل القرآن . باب في ختم القرآن، رقم: ٣٤٧٦.

قال: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»[1].

وروى الطبراني عن أبي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رسول اللَّهِ ـ ﷺ، فقال: «أَبْشِرُوا أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنَّ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَنِّي رسول اللَّهِ» قالوا: بَلَى قال: «إِنَّ هذا الْقُرْآنَ سَبَبٌ، طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلَكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»[2].

وروى الدارمي والحاكم والطبراني عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ـ ﷺ، قال: «إِنَّ هَذَا

---

(١) مسند أحمد: (٤٠٩/١٠)، رقم: ١٢٢١٩، وسنن ابن ماجه: المقدمة . باب فضل من تعلم القرآن وعلمه، رقم: ٢١٥، وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن . باب فضل من قرأ القرآن، رقم: ٢٣٢٦، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، وصححه الحاكم (٥٥٦/١)، ووافقه الذهبي.

(٢) المعجم الكبير: (١٨٨/٢٢)، رقم: ٤٩١، قال الهيثمي في "مجمع الزوائد"، (١٦٩/١): رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ[1]، فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ، لا يَزِيغُ[2] فَيَسْتَعْتِبُ[3]، وَلا يَعْوَجُّ[4] فَيُقَوَّمُ، وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، فَاتْلُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلاوَتِهِ، بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لا أَقُولُ الم وَلَكِنْ بِأَلِفٍ وَلامٍ وَمِيمٍ»[5].

---

(١) المأدبة: الطعام يدعى إليه الناس ، يقصد منافع القرآن وفوائده العظيمة.

(٢) الزيغ: البعد عن الحق ، والميل عن الاستقامة.

(٣) يستعتب: يتوب ويطلب رضا الله عز وجل ومغفرته.

(٤) الاعوجاج: الميل والانحراف والزيغ.

(٥) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن ـ فضل من قرأ القرآن، رقم: ٣١٨١، والمستدرك على الصحيحين: (٧٤١/١)، رقم: ٢٠٤٠، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والمعجم الكبير: (١٣٠/٩)، رقم: ٨٦٤٦.

وروى أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه، أن النَّبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم، قال: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ يوم الْقِيَامَةِ إذا دَخَل الْجَنَّةَ اقْرَأْ وَاصْعَدْ، فَيَقْرَأُ وَيَصْعَدُ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً حتى يَقْرَأَ آخِرَ شيء معه»[1].

وعن عبد اللَّهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ، قال: قال رسول اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم: «من قام بِعَشْرِ آيَاتٍ لم يُكْتَبْ من الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قام بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ من الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قام بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ من الْمُقَنْطِرِينَ»[2]، أي: "كُتب له قنطارًا من الأجر"؛

(١) مسند أحمد: (٣٨٩/٩)، رقم: ١٠٠٤٣، وسنن أبي داود: كتاب الصلاة . باب استحباب الترتيل في القراءة، رقم: ١٤٦٤، وسنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، رقم: ٢٩١٤، وقال: حسن صحيح، وسنن ابن ماجه: كتاب الأدب . باب ثواب القرآن، رقم: ٣٧٨١.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة . باب تحزيب القرآن، رقم: ١٣٩٨.

وروى البخاري عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ـ رضي الله عنه، قال: قال النَّبِيُّ ـ صلى الله عليه وسلم، لأَصْحَابِهِ: «أَيَعْجِزُ أحدكم أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ في لَيْلَةٍ»، فَشَقَّ ذلك عليهم، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذلك يا رَسُولَ اللَّهِ، فقال: «الله الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ»[1]، وورد: «من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن كلّه». وقال ـ صلى الله عليه وسلم: «من قَرَأَ قُلْ هو الله أَحَدٌ حتى يَخْتِمَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ بنى الله له قَصْراً في الْجَنَّةِ»، فقال عُمَرُ بن الْخَطَّابِ: إِذًا أَسْتَكْثِر يا رَسُولَ اللَّهِ، فقال رسول اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم: «الله أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ»[2].

---

(١) صحيح البخاري: فضائل القرآن. فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، رقم: ٥٠١٥.

(٢) مسند أحمد: (٢٤٨/١٢)، رقم: ١٥٥٤٧، وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن. باب فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، رقم: ٣٤٢٩.

قال الطيبي: (أي الله أكثر إجابة من دعائكم؛ وقيل: إن معناه فضل الله أكثر؛ أي ما يعطيه من فضله وسعة كرمه أكثر مما يعطيكم في مقابلة دعائكم؛ وقيل: الله أغلب في الكثرة فلا تعجزونه في الاستكثار، فإن خزائنه لا تنفد وعطاياه لا تفنى، وقيل: الله أكثر ثوابًا وعطاءً مما في نفوسكم، فأكثروا ما شئتم؛ فإنه تعالى يقابل أدعيتكم بما هو أكثر منها وأجل)[1]. وفي روايةٍ أخرى قال ـ ﷺ: «من قَرَأَ قُلْ هو الله أَحَدٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ بُنِيَ له بها قَصْرٌ في الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَرَأَ عِشْرِينَ مَرَّةً بُنِيَ له بها قَصْرَانِ في الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلاثِينَ مَرَّةً بُنِيَ له بها ثَلاثَةُ قُصُورٍ في الْجَنَّةِ»، فقال عُمَرُ بن الْخَطَّابِ: والله يا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَنْ لنكثر قُصُورَنَا،

---

(١) تحفة الأحوذي: (١٠/١٨).

فقال ـ ﷺ: «اللهُ أوسعُ مِنْ ذلِكَ»[1].فيا ربِّي من خزائن رحماتك، وودك، ولطفك، يا الله. آمين.

وروى البيهقي عن أنس ـ رضي الله عنه، أن رسول الله ـ ﷺ، قال: «من قرأ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، مائة مرة غفر الله له خطيئة خمسين عامًا، ما اجتنبت خصالاً أربعاً: الدماء، والأموال، والفروج، والأشربة»[2].

روى مسلم والنسائي أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتٌ لم يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: الْمُعَوِّذَتَيْنِ»[3].

---

(١) سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن ـ باب فضل ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، رقم: ٣٤٢٩.

(٢) كنز العمال: (١/٢٩٢).

(٣) صحيح مسلم: كتاب فضائل القرآن ـ باب فضل قراءة المعوذتين، رقم: ١٨٨٩، وسنن النسائي الكبرى: (٥/١٧)، رقم: ٨٠٣٠.

قال الإمام النووي في "الأذكار": وروى الإمام الحافظ أبو بكر بن أبي داود بإسناده عن علي ـ رضي الله عنه، قال: (ما كنت أرى أحداً يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة). إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم[1].

وروي أيضا عن علي رضي الله عنه: (ما أرى أحدا يعقل دخل في الإسلام ينام حتى يقرأ آية الكرسي)[2].

وعن إبراهيم النخعي قال: (كانوا يعلمونهم إذا أووا إلى فراشهم أن يقرؤوا المعوذتين).

وفي رواية: كانوا يستحبون أن يقرؤوا هؤلاء السور في كل ليلة ثلاث مرات قل هو الله أحد والمعوذتين. إسناده صحيح على شرط مسلم[1].

---

(١) الأذكار: (ص٧٧).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: (٦/٤٠).

وروى البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها، «أَنَّ النَّبِيَّ ـ صلى الله عليه وسلم، كان إذا أَوَى إلى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ[2] فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا ما اسْتَطَاعَ من جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا على رَأْسِهِ، وَوَجْهِهِ، وما أَقْبَلَ من جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذلك ثَلاثَ مَرَّاتٍ»[3].

---

(١) الأذكار: (ص٧٧).

(٢) قال أهل اللغة: النفث: نفخ لطيف بلا ريق.

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن ـ فضل المعوذات، رقم: ٥٠١٧، وسنن أبي داود: كتاب الأدب ـ باب ما يقال عند النوم، رقم: ٥٠٥٦، وسنن الترمذي: كتاب الدعوات ـ باب ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند النوم، رقم: ٣٤٠٢، وسنن ابن ماجه: كتاب الدعاء ـ باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه، رقم: ٣٨٧٥.

روى أحمد والترمذي عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه، أن النَّبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم، قال: «من قال حين يَأْوِي إلى فِرَاشِهِ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الذي لا إِلَهَ إلا هو الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إليه ثَلاثَ مَرَّاتٍ، غَفَرَ الله ذُنُوبَهُ، وَإِنْ كانت مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، وَإِنْ كانت عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ، وَإِنْ كانت عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ، وَإِنْ كانت عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا»[1].

وروى البخاري والترمذي عن شداد بن أوس ـ رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم، قال: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللّهم أنت رَبِّي لا إِلَهَ إلا أنت خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ من شَرِّ ما صَنَعْتُ، أَبُوءُ لك

(١) مسند أحمد: (٣/١٠)، رقم: ١١٠٨٩، سنن الترمذي: كتاب الدعوات، رقم: ٣٣٩٣، وقال: حديث حسن.

بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لك بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لي فإنه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أنت، قال: وَمَنْ قَالَهَا من النَّهَارِ مُوقِنًا بها فَمَاتَ من يَوْمِهِ قبل أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ من أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا من اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها فَمَاتَ قبل أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ من أَهْلِ الْجَنَّةِ»[1].

"أي عزيزي": عليك أن تداوم على ذكر الله، وقراءة القرآن، وتكرار الأذكار والتسابيح المأثورة عن النَّبيِّ الكريم ـ ﷺ، في عموم أوقاتك وحالاتك، ولاسيما في خلال الليالي والأسحار، وفي آناء الليل وأطراف النهار، لعل الله يرقيك عن فتنة ما ذرأ وبرأ في الليل والنهار، ويكفي

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الدعوات ـ باب فضل الاستغفار، رقم: ٥٩٤٧، وسنن الترمذي: كتاب الدعوات، رقم: ٣٣٩٣.

عنك مؤنة شرور من عاداك بالمكر والشعوذة بحوله وقوته.

روى الترمذي عن أبي سعيد ـ ﷺ، أنَّ النَّبيَّ ـ ﷺ، قال: «يقول الرَّبُّ ـ عزَّ وجل، من شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِي عن مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ ما أُعْطِي السَّائِلِينَ. وَفَضْلُ كَلامِ اللَّهِ على سَائِرِ الْكَلامِ كَفَضْلِ اللَّهِ على خَلْقِهِ»[1].

جعلنا الله تعالى من المتعرضين لنفحات الحق، المستنشقين من نسمات روحه وراحته بمنّه وجوده.

اللَّهُمَّ أسألك بكلّ اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك؛ أن

(١) سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، رقم: ٢٩٢٦، وقال: حديث حسن.

تجعل القرآن لنا قائدًا وهاديًا، ولذنوبنا وعيوبنا ماحيًا، ولقلوبنا ربيعًا، ولسيّئاتنا شافعًا، ولوجوهنا نضرةً ونورًا، ولعيوننا قرةً وسرورًا، اللّهُمَّ وأطلق به ألسنتنا، وأجزل به ثوابنا، وأحسن به مآبنا، واجعلنا نقوم به وبالّذي يرضيك عنّا، اللّهُمَّ واجعله لغمومنا وهمومنا شفاء، ولحوائجنا قضاء، وفي القيامة رفعةً وسناء، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ صلِّ وسلّم وبارك على حبيب رب العالمين وخاتم الأنبياء والمرسلين. وعلى آله وأصحابه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

- <u>ومن عظيم العبادة أيضاً في رمضان:</u> <u>"الدعاءُ"؛ الذي هو خُلُقٌ من أخلاق القرآن المجيد.</u>

"أي أخي": اعلم أن "الدعاءَ": هو الرغبة إلى الله تعالى فيما عنده سبحانه ـ من الخير والابتهال إليه بالسؤال ودعوته إذا سألته وإذا استعنته.

ـ "والدعاءُ" هو: العبادة والاستغاثة، وهو: الإيمان الدال على الخضوع والتضرع إلى الله تعالى، ومن الرجاء فيه ـ جلَّ وعلا، وصدق الظن فيه، وانتظار الخير على يقين من جهته وفضله؛ وبهذا المعنى فهو: خُلُقٌ من أخلاق القرآن المجيد، وفضيلة من فضائل الإسلام العظيم، وجانب من هدي الرسول الكريم ـ ﷺ، وهو من أهم مقامات العبودية.

وممّا يدل على عظيم مكانته؛ أن الله تعالى قال: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ ﴿٧٧﴾﴾[1]، أي: لولا دعاؤكم إياه دعاء العبادة ودعاء المسألة، ما عبأ بكم ولا أحبكم؛ وقال أكمل الرسل ﷺ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»[2]، وقال: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ»[3]، وقال: «من فُتِحَ له مِنْكُمْ بَابُ الدُّعَاءِ فُتِحَتْ له أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وما سُئِلَ الله شيئًا يعطى أَحَبَّ إليه من أَنْ يُسْأَلَ الْعَافِيَةَ»، وقال ﷺ: «إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لم يَنْزِلْ،

---

(١) سورة الفرقان.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الدعوات ـ باب منه، رقم: ٣٣٧١، وقال: هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

(٣) مسند أحمد: (٤٠٨/٨)، رقم: ٨٧٣٣، قال أحمد محمَّد شاكر: إسناده صحيح.

فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ »[1]، وقال: «لا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إلا الدُّعَاءُ، ولا يَزِيدُ في الْعُمْرِ إلا الْبِرُّ»[2]، وقال ـ ﷺ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً من قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ»[3]، وقال: «من لم يسأل الله يغضب عليه»[4]، وقال ـ ﷺ: «سَلُوا اللَّهَ من فَضْلِهِ فإن اللَّهَ ـ عز وجل،

---

(١) سنن الترمذي: كتاب الدعوات . باب في دعاء النبي ﷺ، رقم: ٣٥٤٨.

(٢) سنن الترمذي: كتاب القدر . ما جاء: لا يرد القدر إلا الدعاء، رقم: ٢١٣٩، وقال: حديث حسن غريب.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة . باب الدعاء، رقم: ١٤٩٦، وسنن الترمذي: كتاب الدعوات . باب ما جاء في جامع الدعوات عن النبي . ﷺ، وسنن ابن ماجه: كتاب الدعاء . باب اسم الله الأعظم، رقم: ٣٨٥٥.

(٤) سنن الترمذي: كتاب الدعوات، رقم: ٣٣٧٣، وعند ابن ماجه في "سننه": كتاب الدعاء . باب فضل الدعاء، رقم: ٣٨٢٧، وأحمد في "مسنده": (٢٩٢/٩)، رقم: ٩٦٨٠، بلفظ: "مَنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ غَضِبَ عَلَيْهِ"، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ»[1]،
وعن فضالة بن عبيد قال: سمع النبي ـ ﷺ، رجلاً يدعو في صلاته فلم يصلِّ على النبي ـ ﷺ، فقال النبي ـ ﷺ: «عجل هذا»، ثم دعاه وقال له أو لغيره: «إذا صلّى أحدكم فَلْيَبْدَأْ بِتحْميدِ ربه وَالثَّنَاءِ عليه، ثُمَّ ليُصَلِّ على النبيّ ﷺ ثُمَّ لْيَدْعُ بعد بِمَا شَاءَ»[2].

---

(١) سنن الترمذي: كتاب الدعوات . في انتظار الفرج وغير ذلك، رقم: ٣٥٧١.

(٢) مسند أحمد: (١٧٧/١٧)، رقم: ٢٣٨٢١، وسنن الترمذي: كتاب الدعوات . باب ما جاء في "جوامع الدعوات"، رقم:٣٤٧٧، وقال: حديث حسن صحيح، قال العسقلاني في "الدراية في تخريج أحاديث الهداية" (١٥٧/١): أخرجه أصحاب السنن الثلاثة وصححه الترمذي، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم: قال مُحَّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري:(ت ٤٠٥هـ)، في "المستدرك" (٣٥٤/١): هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، وقال أيضاً في "المستدرك" (٤٠١/١): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا تعرف له علة، ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرطهما.

اعلم أيها العزيز: أن منازل الدين الحنيف ثلاث: الطاعات، والمقربات، والمحبوبات؛ وأن "الدعاء" من المقربات إلى الله تعالى. فتأمل.

وأن "الدعاء" قد ذُكر في القرآن المجيد بعد الصّيام والذكر؛ كما قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[1].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، من عابديه ومناجيه ـ بالمشاهدة والإجابة والتوفيق.

وإن اتصال هذه الآية بما قبلها؛ أنه تعالى لما قال بعد إيجاب فرض الصوم، وبيان أحكامه: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، فأمر العبد بالتكبير الذي هو الذكر وبالشكر؛ بيّن أنه ـ سبحانه وتعالى ـ بلطفه ورحمته، قريب من العبد، مطلعٌ على ذكره وشكره، فيسمع نداءَه، ويُجيب دعاءه، ولا يُخيب رجاءَه.

---

(١) سورة البقرة.

قال العلاّمة ابن كثير: وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام، إرشادٌ إلى الاجتهاد في "الدعاء" عند إكمال العدة، بل وعند كل فطر؛ كما روى ال

إمام أبو داود عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ، يقول: «للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة». فكان عبد الله ابن عمر إذا أفطر دعا أهله وولده ودعا[1]. وروى ـ ابن ماجه في سُنَنِه عن عبد الله بن عمر قال: قال النَّبيُّ ـ ﷺ: «إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد»[2].قال عبيد الله بن أبي مليكة: سمعت عبد الله بن عمر

(١) مسند الطيالسي: رقم: ٢٢٦٢.

(٢) سنن ابن ماجه: كتاب الصيام ـ باب في الصائم لا ترد دعوته، رقم: ١٧٥٣.

يقول إذا أفطر:«اللَّهُمَّ إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي» اهـ[1].

وفي مسند الإمام أحمد وسُنَن الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ـ ﷺ: «ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حتى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا الله دُونَ الْغَمَامِ يوم الْقِيَامَةِ، وَتُفْتَحُ لها أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ: بِعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»[2].

روى الطبراني عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه، وكرم الله وجهه، أنَّ النَّبِيَّ ـ ﷺ، قال: «كُلُّ دُعاءٍ مَحجُوبٌ حَتى يُصلّيَ على محَمَّدٍ ﷺ

---

(١) تفسير ابن كثير: (٢٢٠/١).

(٢) مسند أحمد: (٢٩٨/٩)، رقم: ٩٧٠٤، وسنن الترمذي: كتاب الدعوات ـ باب في العفو والعافية، رقم: ٣٥٩٨، وقال: هذا حديث حسن، وسنن ابن ماجه: كتاب الصيام ـ باب في الصائم لا ترد دعوته، رقم: ١٧٥٢.

وآل محمّدٍ»[1].

وروى الطبراني عن سيدنا الحسن بن علي، عن سيدنا علي ـ عليهما السَّلام والرضوان ـ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَا مِنْ دُعَاءٍ إلاَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ حِجَابٌ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحمّدٍ ﷺ فإذا صُلِّيَ عَلَى النَّبيِّ ﷺ انْخَرَقَ الحِجَابُ، واستُجِيبَ الـدُّعَاءُ، وَإذَا لَم يُصَلَّ عَلَى النَّبيِّ ﷺ، لَم يُسْتَجب الدُّعاءُ»[2].

روى الإمام أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً

---

(١) المعجم الأوسط: للطبراني (٢٢٠/١)، وقال في "مجمع الزوائد" (١٦٠/١٠): رواه الطبراني في "الأوسط" ورجاله ثقات.

(٢) قال المنذري في "الترغيب والترهيب" (١٦٥/٣): وعن علي رضي الله عنه قال: "كل دعاء محجوب حتى يُصلى على مُحَمَّد ﷺ"، رواه الطبراني في "الأوسط" موقوفًا، ورواته ثقات، ورفعه بعضهم، والموقوف أصح، وذكره الهيثمي في " مجمع الزوائد" (١٦٠/١٠) وقال: رجاله ثِقات.

وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ»[1].

وروى الترمذي، وابن حِبّان في "صحيحه" عن ابن مسعود ـ ﷺ، قال: قال رسول الله ـ ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاةً»[2].

---

(١) مسند أحمد: (١١/٢٦٤)، رقم: ١١٩٣٧ و ١٣٦٨٩، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الصلاة . باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي . ﷺ. صحيح ابن حبّان: (٣/١٩٢)، وقال في "كشف الخفاء" (١/٣١٣): رواه الترمذي، وابن حبّان عن ابن مسعود رفعه، وقال الترمذي: "حسن غريب" وفي سنده موسى بن يعقوب الزمعي، قال فيه النسائي: ليس بالقوي، لكن وثقه ابن معين، وحسبك به، ووثقه أبو داود، وابن حبّان وابن عدي، وجماعة، ورواه البخاري في "تاريخه الكبير"، وذكر ابن الزمعي: رواه عن ابن كيسان عن عقبة بن عبد الله عن ابن مسعود، قال في "المقاصد": وفيه منقبة لأهل الحديث فإنهم أكثر الناس صلاة عليه كما بينه في"القول البديع". ومن أراد المزيد فليطلع على رسالتنا المسماة: "آية الصلاة على النبي مُحَمَّد ﷺ وفوائدها في الدنيا والآخرة".

وروى الحافظ ابن عساكر عن أبي موسى ـ رضي الله عنه، أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم، قال: «من كانت له إلى الله حاجة فليدع بها دبر كل صلاة مفروضة»[1].

وقال ـ صلى الله عليه وسلم: «دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب، عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك: آمين ولك مثل ذلك»[2].

"أي عزيزي": إن وعد الله صدق، والله لا يخلف الميعاد، غير أن إجابة الدعوة لا تعني بالضرورة قضاء الحاجة، فإجابة الدعوة أن يقول العبد: يا رب، فيقول الله تعالى: لبيك عبدي. وهذا أمر موعود موجود لكل مؤمن، وقضاء الحاجة: اعطاء المراد؛ فقد يكون ناجزاً، وقد يكون

(١) تاريخ مدينة دمشق: (٤١٥/٥).

(٢) مسند عبد بن حميد: (٩٨/١)، رقم: ٢٠١.

بعد مدة، وقد يكون في الآخرة، وقد يكون الخيرة له في غيره؛ كما قال ـ ﷺ: «ما من مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ ليس فيها أثم وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إلا أَعْطَاهُ الله بها إِحْدَى ثَلاَثٍ: إما أَنْ تُعَجَّلَ له دَعْوَتُهُ، وإما أَنْ يَدَّخِرَهَا له في الآخِرَةِ، وإما أَنْ يَصْرِفَ عنه مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا» قالوا: إِذاً نُكْثِرُ. قال: «الله أَكْثَرُ »[1]، أي: قبولاً ورحمة.

وفي أخرى: «لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ ما لم يَدْعُ بِإِثْمٍ أو قَطِيعَةِ رَحِمٍ، ما لم يَسْتَعْجِلْ» ، قِيلَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، ما الاسْتِعْجَالُ؟، قال: «يَقُولُ: قد

(١) مسند أحمد: (٥٩/١٠)، قال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن، والحديث عند الترمذي بنحوه في (٥٦٦/٥)، رقم: ٣٥٧٣، في الدعوات، وقال: حسن صحيح غريب عن عبادة بن الصامت، كما صححه الحاكم في "المستدرك" (٤٩٣/١)، ووافقه الذهبي.

دَعَوْتُ، وقد دَعَوْتُ، فلم أَرَ يَسْتَجِيبُ لي، فَيَسْتَحْسِرُ[1] عِنْدَ ذلك، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ»[2].

وروى البزار عن انس عن النَّبِيِّ ـ ﷺ، قال: «قَالَ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لابْنِ آدَمَ: يَا ابْنَ آدَمَ ثَلاثٌ: وَاحِدَةٌ لِي، وَاحِدَةٌ لَكَ، وَوَاحِدَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، أَمَّا الَّتِي لِي، فَتَعْبُدُنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، وَأَمَّا الَّتِي لَكَ ، فَمَا عَمِلْتَ مِنْ عَمَلٍ جَزَيْتُكَ بِهِ، فَإِنْ أَغْفِرْ فَأَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَمَّا الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَمِنْكَ الدُّعَاءُ وَالْمَسْأَلَةُ وَعَلَيَّ الاسْتِجَابَةُ

---

(١) يستحسر: أي يستنكف عن السؤال؛ وأصله من حسر الطرف إذا كلَّ وضعف .

(٢) صحيح البخاري: كتاب الدعوات ـ باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، رقم: ٦٣٤٠، وصحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لي، رقم: ٦٨٧١.

وَالْعَطَاءِ»[1].

وقال ـ ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»[2].

و"اعلم يا أخي الكريم": أن القرآن الكريم ذَكَرَ مادة "يسألونك" في مواضع عديدة، وبعد إيراد هذه المادة، يطلب من رسول الله ـ ﷺ، أن يتولى الرد على سؤالهم بما يوحيه الله سبحانه؛ فالقرآن مثلاً يقول: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۝١٨٩﴾[3]، ويقول ـ جل جلاله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ

---

(١) مسند البزار: (١/٣٩٠)، رقم: ٢٥٢٣.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة . باب الدعاء، رقم: ١٤٨٨، سنن الترمذي: كتاب الدعوات . باب في دعاء النبي . ﷺ، رقم: ٣٥٥٦، وقال: حسن غريب.

(٣) سورة البقرة.

كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾[1].

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى ﴿٢٢٢﴾﴾[2].

-﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴿١﴾﴾[3].

وكذلك في آيات أخرى. وأما حين جاء السؤال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، فإن الله تعالى لم يطلب إلى رسوله - ﷺ، أن يتولى الإجابة على السؤال كما رأينا في المواطن

---

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة البقرة.

(٣) سورة الأنفال.

الأخرى، بل تولى الله بذاته ـ جلَّ شأنه ـ الإجابة لسؤال العباد، وإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ ولهذا قال ـ جلَّ جلاله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، أي: قريبٌ بعلمي، ورحمتي، وحفظي، وتدبيري، وقبولي. فتأمل.

ـ فهو الذي يسمع ذكرنا سراً وعلانيةً؛ ويقول ـ جَلَّ جَلَالُهُ: «أنا جليس من ذكرني»[1]، ويقول ـ عَزَّ وَجَلَّ: «من ذكرني في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ في نفسي، وَمَنْ ذكرني في ملأ مِنَ الناس، ذَكَرْتُهُ في ملأ أَكْثَرَ منهم وَأَطْيَبَ»[2]. ويسمع كلامنا، ويسمع دعاءنا إذا

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: (١٠٨/١)، رقم: ١٢٢٤.

(٢) صحيح البخاري: كتاب التوحيد . باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، رقم: ٧٤٠٥، وصحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم: ٢٦٧٥، ومسند أحمد: (١٥٣/٩)، رقم: ٩٢٢٦.

سألناه، وإذا أذنبنا ثم تُبْنا فهو يقبل توبتنا، قريب: فعفوه يتجاوز عنا، وقبول التوبة منا ـ جلَّ شأنه، ولا إله غيره.

وقال ـ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾: إذا دعوتهم للإيمان والطاعة، كما أني أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم.

وقال: ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾، أي: بوجودي وأسمائي الحسنى، وصفاتي العليا، وقربي، وإجابتي[1].

وقال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: والمعنى: أنهم إذا استجابوا لي، وآمنوا بي: اهتدوا لمصالح دينهم ودنياهم؛ لأن الرشيد هو من كان كذلك، يقال: فلان رشيد، قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم

(١) الأساس في التفسير: لسعيد حوى ـ رحمه الله: (١/٤١٦، ٤١٧).

مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴿٦﴾[1]، وقال - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾[2].

قال رسول الله - ﷺ -: «أَقْرَبُ ما يَكُونُ الرَّبُّ من الْعَبْدِ في جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ في تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ»[3].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴿١٨٠﴾﴾[4].

---

(١) سورة النساء.

(٢) سورة الحجرات.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة - باب من رخص فيهما إذا كانت الشمس مرتفعة، رقم: ١٢٧٧، سنن الترمذي: كتاب الدعوات - باب في دعاء الضيف، رقم: ٣٥٧٩، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وسنن النسائي: كتاب الطهارة - باب ثواب من توضأ لما أمر، رقم: ١٤٧، وكتاب المواقيت - باب النهي عن الصلاة بعد العصر، رقم: ٥٧٢.

(٤) سورة الأعراف.

وقال عزَّ وجل: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴿١١٠﴾﴾[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم، قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إلا وَاحِدًا، من أَحْصَاهَا[2] دخل الْجَنَّةَ، إنه وِتْرٌ، يُحِبُّ الْوِتْرَ»[3].

وعنه أنَّ النَّبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم، قال: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا من أَحْصَاهَا دخل الْجَنَّةَ: هو الله الذي لا إِلَهَ إلا هو الرَّحْمَنُ. الرَّحِيمُ. الْمَلِكُ.

---

(١) سورة الإسراء.

(٢) أحصاها: حفظها، وقيل معناها: من عرف معانيها وآمن بها، وقيل معناه: من أطاقها بحسن الرعاية لها، وتخلَّق بما يمكنه من العمل بمعانيها.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الدعوات ـ باب لله مائة اسم غيرَ واحدٍ، رقم: ٦٤١٠، وصحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب في أسماء الله تعالى، وفضل من أحصاها، رقم: ٦٧٥١.

الْقُدُّوسُ. السَّلامُ. الْمُؤْمِنُ. الْمُهَيْمِنُ. الْعَزِيزُ.
الْجَبَّارُ. الْمُتَكَبِّرُ. الْخَالِقُ. الْبَارِئُ. الْمُصَوِّرُ.
الْغَفَّارُ. الْقَهَّارُ. الْوَهَّابُ. الرَّزَّاقُ. الْفَتَّاحُ. الْعَلِيمُ.
الْقَابِضُ. الْبَاسِطُ. الْخَافِضُ. الرَّافِعُ. الْمُعِزُّ.
الْمُذِلُّ. السَّمِيعُ. الْبَصِيرُ. الْحَكَمُ. الْعَدْلُ.
اللَّطِيفُ. الْخَبِيرُ. الْحَلِيمُ. الْعَظِيمُ. الْغَفُورُ.
الشَّكُورُ. الْعَلِيُّ. الْكَبِيرُ. الْحَفِيظُ. الْمُقِيتُ.
الْحَسِيبُ. الْجَلِيلُ. الْكَرِيمُ. الرَّقِيبُ. الْمُجِيبُ.
الْوَاسِعُ. الْحَكِيمُ. الْوَدُودُ. الْمَجِيدُ. الْبَاعِثُ.
الشَّهِيدُ. الْحَقُّ. الْوَكِيلُ. الْقَوِيُّ. الْمَتِينُ. الْوَلِيُّ.
الْحَمِيدُ. الْمُحْصِي. المبدي. الْمُعِيدُ. الْمُحْيِي.
الْمُمِيتُ. الْحَيُّ. الْقَيُّومُ. الْوَاجِدُ. الْمَاجِدُ.
الْوَاحِدُ. الصَّمَدُ. الْقَادِرُ. الْمُقْتَدِرُ. الْمُقَدِّمُ.
الْمُؤَخِّرُ. الأَوَّلُ. الآخِرُ. الظَّاهِرُ. الْبَاطِنُ. الْوَالِي.

الْمُتَعَالِي. الْبَرُّ. التَّوَّابُ. الْمُنْتَقِمُ. الْعَفُوُّ. الرَّءُوفُ. مَالِكُ الْمُلْكِ. ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. الْمُقْسِطُ. الْجَامِعُ. الْغَنِيُّ. الْمُغْنِي. الْمَانِعُ. الضَّارُّ. النَّافِعُ. النُّورُ. الْهَادِي. الْبَدِيعُ. الْبَاقِي. الْوَارِثُ. الرَّشِيدُ. الصَّبُورُ»[1].

ـ اللَّهُمَّ أطلق ألسنتنا بذكرك،وطهّر قلوبنا عما سواك، وروح أرواحنا بنسيم قربك، وأملأ أسرارنا بمحبّتك، وأطوِ ضمائرنا بنيّة الخير للعباد، وألّف أنفسنا بعلمك، وأملأ صدورنا بتعظيمك، وحَيّزْ كلّيتنا إلى جنابك، وحسن أسرارنا معك، واجعلنا ممن يأخذ ما صفا ويدع الكدر، ويعرف قدر العافية ويشكر عليها، ويرضى بك كفيلاً، لتكون له وكيلا، ووفقنا لتعظيم عظمتك، وارزقنا

---

(١) سنن الترمذي: كتاب جامع الدعوات، رقم: ٣٥٠٧.

لذّة النظر إلى وجهك الكريم ـ تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت. وصلى الله على النبي محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[١].

ـ ومن عظيم الأعمال المقربة إلى الله تعالى في رمضان؛ "الصدقة": كما قال رسول الله ـ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ صَدَقَةٌ في رَمَضَانَ»[٢]، لأنه موسم الخيرات وشهر العبادات، قوله ـ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ»، أي: الصدقة التي تقع "في رمضان": لأن التوسعة فيه على عيال الله محبوبة؛ ولهذا كان المصطفى ـ ﷺ، أجود ما يكون في رمضان؛ وذلك

---

(١) سورة الصافات.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الزكاة ـ ما جاء في فضل الصدقة، رقم: ٦٦٣.

لأنه تعالى وضع رمضان لإفاضة الرحمة على عباده أضعاف ما يفيضها في غيره فكانت الصدقة فيه أفضل ثوابٍ منها في غيره، وفيه استحباب إكثار الصدقة فيه، ومزيد الإنفاق على المحتاجين والتوسعة على عياله وأقاربه ومحبيه فيه[1]؛ لقوله ـ عليه الصَّلاة والسَّلام: «من فَطَّرَ صَائِمًا كان له مِثْلُ أَجْرِهِ غير أَنَّهُ لا يَنْقُصُ من أَجْرِ الصَّائِمِ شيئاً»[2]، ولقوله ـ ﷺ: «من فَطَّرَ صَائِمًا على طَعَامٍ وَشَرَابٍ من حَلالٍ صَلَّتْ عليه الْمَلائِكَةُ في سَاعَاتِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَصَلَّى عليه جِبْرِيلُ ـ عليه

(١) فيض القدير: (٥٥/٢).

(٢) سنن الترمذي: كتاب الصوم . ما جاء في فضل من فطر صائما، رقم: ٨٠٧، وقال: حديث حسن صحيح، وسنن ابن ماجه: كتاب الصيام . باب في ثواب من فطر صائمًا، رقم: ١٧٤٦، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، رجاله ثقات مشاهير: ينظر المسند: (٢٤٨/١٣) رقم: ١٦٩٨١، ومصنف ابن أبي شيبة: (١٢٢/٣)، رقم: ١٩٥٥٥.

السَّلَامُ، فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، قال المنذري: رواه الطبراني في الكبير وأبو الشيخ ابن حبان في كتاب "الثواب" إلا أنه قال: «وصافحه جبرائيل ليلة القدر» ، وزاد فيه: «ومن صافحه جبرائيل عليه السلام يرق قلبه وتكثر دموعه» ، قال: فقلت: يا رسول الله، أفرأيت من لم يكن عنده، قال: «فقبصة[1] من طعام» ، قلت: أفرأيت إن لم يكن عنده، قال: «فشربة من ماء»[2] لذا؛ كان رسول اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم، أَجْوَدَ الناس وكان أَجْوَدَ ما يَكُونُ في رَمَضَانَ حين يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وكان يَلْقَاهُ في كل لَيْلَةٍ من رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم، أَجْوَدُ

---

(١) القبصة بالصاد المهملة هو ما يتناوله الآخذ بأنامله الثلاث.

(٢) الترغيب والترهيب: لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري: (ت٦٥٦هـ)، (٩٢/٢).

بِالْخَيْرِ من الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ[1].

قوله: (أَجْوَدُ ما يَكُونُ)، الجُودُ أبلغُ من السَّخَاء، ولذا يقال: إن الله سبحانه جَوَادٌ ولا يُقال سَخيٌّ[2]؛ لما روى الترمذي من حديث سعد، رفعه: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ». رواه الترمذي[3]، وفي أخرى للبخاري في "الكبير": «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ» [4]. قوله: (أَجْوَدَ الناس) أي: أكثر الناس جودًا، والجود:

---

(١) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي . باب بدء الوحي، رقم: ٦، وصحيح مسلم:كتاب الفضائل . باب كان النبي ﷺ، أجود الناس بالخير من الريح المرسلة، رقم: ٥٩٦٤.

(٢) فيض الباري شرح صحيح البخاري: للعلاّمة الشيخ مُحَمَّد أنور الكشميري: (ت١٣٥٢هـ)، (١/١٢٦).

(٣) سنن الترمذي: كتاب الأدب . باب ما جاء في النظافة، رقم: ٢٧٩٩.

(٤) التاريخ الكبير: (٤/٣٤٧).

الكرم؛ ففي الصحيح عن أنس:(كان رسول الله ـ ﷺ، أَحْسَنَ الناس، وكان أَجْوَدَ الناس، وكان أَشْجَعَ الناس[1])[2]، والجود؛ في الشرع: إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي، وهو أعم من الصدقة ـ وأيضًا؛ فرمضان موسم الخيرات؛ لأن نعم الله على عباده فيه زائدة على غيره، وكان النَّبيُّ ـ ﷺ، يؤثر متابعة

(١) قال أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني:(ت٨٥٢هـ)، في "الفتح"، (١٠/٤٥٧): اقتصار أنس على هذه الأوصاف الثلاث من جوامع الكلم، لأنها أمهات الأخلاق، فإن في كل إنسان ثلاث قوى: إحداها الغضبية، وكمالها الشجاعة، وثانيها الشهوانية، وكمالها الجود، وثالثها العقليّة، وكمالها النطق بالحكمة، وقد أشار أنس إلى ذلك بقوله: (أحسن الناس)؛ لأن الحسن يشمل القول والفعل. ويحتمل أن يكون المراد بأحسن الناس حسن الخلقة، وهو تابع لاعتدال المزاج الذي يتبع صفاء النفس الذي منه جودة القريحة التي تنشأ عنها الحكمة.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير . باب الشجاعة في الحرب والجبن، رقم: ٢٨٢٠، صحيح مسلم: كتاب الفضائل . في شجاعة النبي . ﷺ، وتقدمه للحرب، رقم: ٥٩٦١.

سنة الله في عباده. (فَلَرَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ، أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ من الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ)، المرسلة، أي: المطلقة يعني أنه في الإسراع بالجود أسرع من الريح، وعبر بالمرسلة إشارة إلى دوام هبوبها بالرحمة، وإلى عموم النفع بجوده كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه. ووقع عند أحمد في آخر هذا الحديث: (لا يسأل شيئاً إلا أعطاه)، وثبتت هذه الزيادة في الصحيح من حديث جابر:(ما سئل رسول الله ـ ﷺ، شيئًا فقال: لا).

وقال النووي: في الحديث فوائد: منها الحث على الجود في كل وقت. ومنها الزيادة في رمضان، وعند الاجتماع بأهل الصلاح. وفيه زيارة الصلحاء وأهل الخير، وتكرار ذلك إذا كان المزور لا يكرهه، واستحباب الإكثار من القراءة في

رمضان، وكونها أفضل من سائر الأذكار، إذ لو كان الذكر أفضل أو مساويا لفعلاه. فإن قيل المقصود تجويد الحفظ. قلنا الحفظ كان حاصلاً، والزيادة فيه تحصل ببعض المجالس، وأنه يجوز أن يقال رمضان من غير إضافة وغير ذلك مما يظهر بالتأمل[1].

"أي أخي" اعلم أن الصدقة: من المقربات أو الدرجات عند الله ـ عز وجل؛ كما قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴿١٠٣﴾﴾[2]، أي: تُطهرُهم بها من ذنوبهم، ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ أي: ترفعهم إلى منازل المخلصين. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ

(١) فتح الباري: (١/٣١).

(٢) سورة التوبة.

يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾[1]، ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ على انفاقهم الخالص. ﴿عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ فيجازيهم في الآخرة من خزائنه الواسعة. ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ في الدنيا. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة؛ وسبحانَهُ اللطيفُ الواسعُ العليمُ ـ عز وجل ـ.

وقال رسول الله ـ ﷺ: «وَالدَّرَجَاتُ: إِفْشَاءُ السَّلامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»[2]، وقال ـ ﷺ: «لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ الله الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آناء اللَّيْلِ وَآنَاءَ

---

(١) سورة البقرة.

(٢) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن ـ باب ومن سورة ص، رقم: ٣٢٣٣.

النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ الله مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ»[1]، قال رسول الله ـ ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ أظلَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ، تَحتَ عَرشِهِ يومَ لا ظِلَّ إلاّ ظلُّهُ: الوُضوءُ في المَكَارِهِ، والْمَشيُ إلى المساجدِ في الظُّلَمِ، وإطْعامُ الجائعِ»[2].

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن . باب اغتباط صاحب القرآن، رقم: ٥٠٢٥، وكتاب التوحيد . باب قول النبي . ﷺ: ((رجل آتاه الله القرآن))، رقم: ٧٥٢٩، وصحيح مسلم: كتاب فضائل القرآن باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة، من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، رقم: ١٨٩١.

(٢) رواه أبو الشيخ في "الثواب" والأصبهاني في "الترغيب" عن جابر كما في "كنز العمال": (٣٤٢/١٥).

وقال أكمل الرسل ـ ﷺ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ» أو قال: «يُحْكَمَ بين النّاس»[1].

وورد: «عليك بالصدقة فإن فيها ست خصال: ثلاثاً في الدنيا، وثلاثاً في الآخرة، فأما التي في الدنيا، فتزيد في الرزق، وتكثر المال، وتعمر الدار. وأما التي في الآخرة، فتستر العورة، وتصير ظلاً فوق الرأس، وتكون ستراً من النار» .

---

(١) "صحيح ابن حبان": (٨/١٠٤)، رقم: ٣٣١٠، وصحيح ابن خزيمة: (٤/٩٤)، رقم: ٢٤٣١، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، ورجاله ثقات تقدموا، وراه ابن المبارك في "الزهد" ٢٢٧، رقم: ٦٤٥، وابن حبان.. وابن خزيمة.. وصححه الحاكم (١/٤١٦)، ووافقه الذهبي. وأبو نعيم في "الحلية" (٨/١٨١)، ينظر: المسند: (١٣/٣٤٣)، رقم: ١٧٢٦٦.

قال مكحول التابعي ـ ﵁: إذا تصدق المؤمن استأذنت جهنم أن تسجد شكراً لله على خلاص واحد من أمة محمد ـ ﷺ، من عذابها.

وقال ـ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بشق تَمْرَةٍ، فَمَنْ لم يَجِدْ شق تَمْرَةٍ، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[1].

وكان ـ ﷺ، يقول: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَتَدْفَعُ عن مِيتَةِ السُّوءِ»[2].

وكان ابن عباس ـ ﵄، يقول: لما نزل قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الزكاة ـ باب الصدقة قبل الرد، رقم: ١٤١٣، وصحيح مسلم: كتاب الزكاة ـ باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، رقم: ٢٣٤٦.

(٢) سنن الترمذي: كتاب الزكاة ـ باب ما جاء في فضل الصدقة، رقم: ٦٦٤، وقال: حسن غريب.

لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ ﴿٢٤٥﴾[1] قال أَبُو الدَّحْدَاحِ الأَنْصَارِيُّ ـ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ؟! قَالَ: «نَعَمْ، يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ»، قَالَ: أَرِنِي يَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَنَاوَلَهُ يَدَهُ، فقَالَ: إِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي، أي: بستاني، وَلَهُ حَائِطٌ فِيهَا "سِتُّمِائَةِ" نَخْلَةٍ، وَأُمُّ الدَّحْدَاحِ فِيهِ وَعِيَالُهَا، قَالَ: فَجاءَ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَنَادَاهَا: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، قَالَتْ: لَبَّيْكَ، فقَالَ: اخْرُجِي فَقَدْ أَقْرَضْتُهُ رَبِّي ـ عز وجل، وَفِي رِوَايَةٍ، أَنَّهَا قَالَتْ لَهُ: رَبِحَ بَيْعُكَ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ، وَنَقَلَتْ مِنْهُ مَتَاعَهَا وَصِبْيَانَهَا، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «كَمْ عِذْقٍ رَدَاحٍ فِي الْجَنَّةِ لأَبِي الدَّحْدَاحِ» ، وَفِي لَفْظٍ: رُبَّ

---

(١) سورة البقرة.

نَخْلَةٍ مُدَلاةٍ، عُرُوقُهَا دُرٌّ وَيَاقُوتٌ، لأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ»[1]، وفي أخرى لمسلم: «كَمْ مِنْ عِذْقٍ مُعَلَّقٍ - أَوْ مُدَلًّى - فِي الْجَنَّةِ لابْنِ الدَّحْدَاحِ»[2].

قال الإمام الجنيد بن محمد ـ رضي الله عنه: أربع ترفع العبد أعالي الدرجات، وإن قل عمله وعلمه: الحلم، والتواضع، والسخاء، وحسن الخلق.

وقال الإمام عبد القادر الكَيلاني ـ رضي الله عنه: وصلت إلى الله: بالكرم، والتواضع، وسلامة الصدر؛ فقال الإمام أحمد الرفاعي ـ رضي الله عنه، معلقًا على ذلك: فدل كلام الشيخ ـ رضي الله عنه: أن الكرم هو الأساس، والتواضع يتم للسالك به الغراس. فإذا

---

(١) مسند أحمد: (١٠/٤٧٢)، رقم: ١٢٤٢١، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الجنائز ـ باب باب ركوب المصلي على الجنازة إذا انصرف، رقم: ٩٦٥.

تم له هذان الأمران سلم صدره من العلائق، وزال عن طريقه كل عائق؛ ولذلك ورد في الحديث: «إنَّ في الجنةِ لَغُرَفاً يُرى ظاهرُها من باطنِها، وباطنُها من ظاهرِها، أعدها اللهُ تعالى لمنْ ألان الكلامَ، وأطعمَ الطعامَ، وتابعَ الصيامَ، وصلّى بالليلِ والناسُ نيامٌ»[1].

"ونوصي إخواننا"؛ بالدين والمحبة والدعوة في سبيله تعالى، ونرجو الامتثال بها،فهي شعار العلماء العاملين، والأولياء العارفين؛وها هي التالية ذكراً:-

العلمُ، والعملُ، والأدبُ، وسلامةُ الصدر،

(١) سنن البيهقي الكبرى: (٤/٣٠٠)، رقم: ٨٢٦٢ ، ينظر: البرهان المؤيد: (ص٢١٢).

والخدمةُ والشفقةُ على هذه الأمة المرحومة ـ نصيحةً، ودعاءً، وإعانةً للمسلمين على قدر الاستطاعة، أو الإيثار. وأرجو من الجميع الدعاء.

قال أكمل الرسل ـ ﷺ: «الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ، كَالصَّائِمِ الصَّابِرِ»[1]، وفي روايةٍ: «الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ، بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ»[2].

اللَّهُمَّ يا حنّانُ يا منّانُ ويا دَيّان ويا سلطان ويا مستعان يا الله، نسألُكَ اللَّهُمَّ الأمانَ الأمان، من زوال الإيمان، والعفو عما مضى منا وكان، من الذنوبِ والزلل والخطأ والتقصيرِ والعِصيان،

---

(١) سنن البيهقي الكبرى: (٤/٣٠٦)، رقم: ٨٣٠١، قال أحمد مُحَمَّد شاكر: إسناده صحيح، ينظر: المسند: (٧/٤٨٥)، رقم: ٧٧٩٣.

(٢) سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: ٢٤٨٦،وقال:حسن غريب.

ونسألُكَ اللَّهُمَّ أن تجعَلنا ووالدينا وجميعَ المسلمين بمنِّك وفضلِكَ من عتقاء شهرِ رَمضان أو من عتقاءِ هذه الليلة بحرمة القرآن. عافنا اللَّهُمَّ واعفُ عنا وعلى طاعتِك وفّقنا وأعنا وإلى غيرك لا تكلنا ومن شر جميع خلقك أجرنا وسلمنا. وعلى الإسلام والإيمان الكاملين جمعًا توفَّنا،نرجو لقاءك وأنت راضٍ عنا غير غضبان برحمتك يا رحيم ويا عليم ويا علاّم.

اللَّهُمَّ إنكَ تعلم أن قلوبنا قد اجْتَمَعت على مَحَبَّتِكَ والتَقَتْ على طاعتكَ، وتوَحَّدَت على دَعْوتِكَ، وَتَعاهدْت على نصْرَةِ شِريعَتكَ، فَوَثِّقِ اللَّهُمَّ رابطتها، وأدم وُدَّها، واهدِها سُبُلَها، وأمْلأها

بِنُورِكَ الذي لا يخْبو، واشرَحْ صُدُورها بفيّض الإيمان بك، وجميلِ التَوكُّل عليك، وأَحْيها بمعْرفَتك، وامتْنا على كمال الحبِّ والإيمان، إنك نْعِمَ المولى ونعم النصير، يا الله ـ تبارك وتعالى ربنا وتقدس. آمين.

اللَّهُمَّ صلِّ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ، وعلى آل سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صلاةً تُنْجينَا بها مِنْ جَميعِ الأهْوَالِ والآفَاتِ، وَتقْضي لَنَا بِهَا جَميعَ الحاجَاتِ، وتُطَهِّرُنا بِهَا مِنْ جَميعِ السَّيئَاتِ، وَتَرْفَعُنَا بِهَا عِنْدَكَ أعْلى الدَّرَجَاتِ، وتُبَلِّغُنَا بِهَا أقْصَى الغَايَات مِنْ جَميعِ الخَيْرَاتِ في الحَيَاةِ وَبَعْدَ المَمَاتِ، آمينَ. يا مجيب الدعوات.

اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1].

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

---

(١) سورة البقرة

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[1].

خادم الدين والأمة

السيد الشيخ عباس السيد

فاضل الحسني

---

(١) سورة الصافات

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
صفحة العنوان	١ـ٣
الافتتاح	٥
الابتداء	٧- ٩
المقدمة	١١
الصوم من أعظم الأركان	١١–١٢
الصوم في اللغة والشرع	١٣–١٥
لماذا سمي رمضان؟	١٥–١٦
دلالة الصيام ـ بالكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة	١٦–١٩
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾.	١٩–٢٨
ذكر الطالقاني في الصيام خمسة وخمسين قولا	٢٨–٢٩
قول العلامة الدمياطي فيما اختص به الصوم	٢٩
قول المؤلف في معرج الروح في الصيام	٢٩–٣٠
قول أهل العلم في أجر الصيام	٣١
نوم الصائم عبادة	٣١–٣٢

قول ابن عاشور والرازي في ذلك	٣٢-٣٤
من صام رمضان إيمانًا واحتسابا.... الحديث	٣٤-٣٥
أخلاق الصائم الصمدية	٣٥-٣٦
الصيام عمل سري وقصد قلبي	٣٦
مراتب الصائم ثلاثة	٣٧-٤٣
ذكر الإمام الشاطبي: وصية أبي بكر الصديق، لعمر بن الخطاب	٤٣-٤٤
قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ ﴿٩٠﴾﴾	٤٤-٤٦
المناسبة بين العابد والزاهد، وبين الصائم، وكلام العلامة المنَّاوي فيه	٤٧-٤٩
قوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴿١٨٣﴾﴾	٤٩-٥٢
قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾، وقول ابن عاشور، في التحرير	٥٢-٥٤
مراتب التقوى، وقول الحسين في ذلك	٥٥-٦٤
ما يفتح الله لعبده، في الصحبة المباركة لحال السائر إلى الله	٦٥-٧٠
قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ ﴿٣٥﴾﴾..... الآية	٧٠-٧٣
قول العلامة الرازي في تفسيره لهذه الآية	٧٣-٧٧
التوافق والتعانق بين الصيام والقيام	٧٨-٨٠
إخبار النَّبِيِّ ـ صلّى الله عليه وسلّم، عن ليلة القدر	٨١

لماذا سُميت ليلة القدر	٨٢
عظمة شأن ليلة القدر، وشرفها وفضلها وقيامها، وما ينزل فيها	٨٣–٨٥
سر خفاء ليلة القدر	٨٥–٨٦
اختلاف العلماء في تعيين ليلة القدر على نحو من أربعين قولا	٨٦
قالوا: الصحيح أنها ليلة منتقلة في العشر الأواخر من كلِّ رمضان؛ جمعًا بين الأحاديث الصحاح، وإعراضًا عما يخالفها، والأحاديث في ذلك	٨٦ـ٩٣
قول أهل العمل الروحي الإسلامي، في أبيات رائعة	٩٣– ٩٤
ما روى سيدنا سلمان الفارسيرضي الله عنه، عن خطبة رسول الله ـ ﷺ	٩٥–٩٦
قيام رمضان، وهو التراويح ودلالتها	٩٧–١٠٣
قول شيخنا وأستاذنا العارف المربي كمال الدين ـ قُدس سره	١٠٣–١٠٨
فيما يمتاز به شهر رمضان المبارك	١٠٨–١٠٩
آراء العلماء حول ماهية المشروع من ركعات التراويح	١٠٩–١١٢
سنية أصل التراويح والجماعة فيها وكيفية أدائها من حيث العدد	١١٢–١١٤
المثبتون للعشرين ركعة	١١٤–١٢٠
فوائد التراويح والحكمة في العدد	١٢٠–١٢٢
من عظيم العبادة في رمضان: "قراءة القرآن المجيد"	١٢٢–١٢٩
فضل سورة الإخلاص والعدد فيها	١٢٩–١٣١

فضل المعوذتين وآخر سورة البقرة وآية الكرسي وما يُعمل فيهنَّ	١٣١–١٣٦
ومن عظيم العبادة كذلك في رمضان: "الدعاء"	١٣٧–١٤١
منازل الدين الحنيف ثلاثةٌ: الطاعات والمقربات والمحبوبات	١٤٢
قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾	١٤٣–١٤٥
سر استجابة الدعاء	١٤٥–١٥١
ذكر القرآن الكريم لمادة "يسألونك" في مواضع متعددة	١٥١–١٥٥
الدعاء بأسماء الله الحسنى، وذكر الأسماء كلِّها	١٥٥–١٥٨
ومن عظيم الأعمال المقربة إلى الله تعالى في رمضان: "الصدقة"	١٥٩–١٦٥
الصدقة من المقربات أو الدرجات عند الله ـ عزَّ وجلَّ	١٦٥–١٦٧
الصدقة فيها ست خصال	١٦٨
قول الإمام مكحول التابعي رضي الله عنه: عن صدقة المؤمن	١٦٩
قوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾، وقصة أبو الدحداح فيها	١٦٩–١٧١
قول الإمام الجنيد، والإمام الكيلاني، والإمام الرغاعي رضي الله عنهم، وقول المؤلف	١٧١–١٧٣
الدعاء وختام الكتاب المبارك	١٧٣–١٧٧
فهرس الكتاب	١٧٨–١٨١